يعقوب بن الليث الصفار

مؤسس الامارة الصفارية

قحطان عبد الستار الحديثي

- ١ -

كان خلفاء المسلمين وأمراؤهم في عهد تمتعهم بالسلطة ذوي نفوذ قوي على الدولة وحضارتها . ذلك لان الخليفة أو الامير كان ركنا من أركان التاريخ الاسلامي ، وقد ظهر أثره بشكل جلي في اسس الدولة وماهيتها ، بسبب ظروف نشأتها وطبيعة تكوينها وطراز تنظيمها . فلطالما أستطاعت هذه الشخصيات ان تفرض نفسها وتؤثر بأفكارها على جماعاتهم وشعوبهم ، ولطالما أنعكست حياتهم على حياة الكثيرين من معاصريهم ، جدا كانت حياتهم او لهوا .

ونحن حينما نبرز أثر البطل في التاريخ ، ونعترف به كقوة مؤثرة في بعض الاحيان ، لاننكر بدورنا ما للاحداث التاريخية عامة من دور فعال في تكوين الاسس العلمية للاسلوب التاريخي المتطور . لان الاحداث كانت في كثير من الاوقات أقوى من الافراد وسلطانهم . لانهم ليسوا الخالقين الوحيدين او المهمين لها . وأنما كانت الى جانبها عوامل متعددة وظروف متباينة أثرت في مسيرة التاريخ وحوادثه . وهكذا نجد أنفسنا مضطرين عند ترجمتنا لبعض هؤلاء القادة ، أن نستجلي البيئة المحيطة بهم وتأثرهم باراثها ومتطلباتها . الى جانب فهمنا الانفعالات النفسية والانعكاسات التربوية التي كانت تضطرم في ذهنية الخلفاء وتفكير القادة

وبعدها سيقودنا البحث الى دراسة ماتشكله العلوم التربوية والنفسية من عناصر مهمة فى منهج البحث التاريخي وذاتيته • ذلك أن هذه العلوم بطبيعتها الاجتماعية هى الخالقة لعقدة اللاشعور عند الفرد ، وخاصة فى السنين الخمس الاولى من حياته • فالطفل فى حياته المبكرة يكونشديد التيقظ يدون كل مايحيط به ويتأثر به على الرغم من انه يبدو صغيرا ساذجا ، وتتكون عنده فى هذه الفترة العقد النفسية ومركبات النقص ، اذا وجد مايدعو اليها أو يبرر وجودها • الى جانب ماللبيئة العائلية والظروف الاجتماعية المحيطة بالناشىء من أثر فى تكوين اخلاقه وتوجيه تصرفاته فى مستقبله • فالذكاء والغباء ، والدهاء والسذاجة ، والاناة والعجلة ، والجد واللهو • والرضا والغضب ، والرحمة والقسوة والعفو والبطش ، والكرم والبخل والوفاء والخيانة ، والحب والكراهية كلها صفات ملازمة للفرد منذ طفولته ، يرث بعضها ويكتسب البعض الاخر منها ومن خلال معايشته لمجتمعه •

وقد وجدت نفسى معجبا بالفصل الرابع الذى دونه الدكتور شلبى فى كتابه القيم (فى قصور الخلفاء العباسيين) والذى تضمن دراسة نفسية للربيع بن يونس وابنه الفضل وزير هارون الرشيد وحاجبه • وقد حاول المؤلف أن يستشف (الانفعالات التى كانت تضطرم فى نفسيهما) واستخراج الكوامن التى دفعتهما لارتكاب الدسائس والمؤمرات فى قصور العباسيين ، مما كان لها الاثر فى توجيه التأريخوجهةمغايرة لسيرته الحقيقية • وقد وضع شلبى عليهما ـ الربيع وابنه ـ التعرفين (مركب النقص) و (الاحساس بالنقص) والفرق بينهما متأثرا بما قدمه Adler فى كتابه Individual Psychology للوصول الى غايته • الى جانب ذلك فقد تأثرت بالفصل الخاص بأبى جعفر المنصور ـ مولده ونشأته ـ الذى دونه الدكتور عبد الجبار الجومرد فى كتابه الموسوم داهية العرب ، ابو جعفر المنصور) • وحاولت جاهداً

التوفيق بين هذين المبحثين للتوصل الى دراسة تربوية ونفسية تقودنا الى معرفة الصفات القيادية ألتى مكنت صاحبنا يعقوب بن الليث الصفار الذى خرج من بين صفوف الشعب ليكون دولة كان لها مركزها واهميتها السياسية والحضارية فى أقل من ربع قرن (م) •أضافة الىذلك وجب علينا فهم الظروف السياسية والعوامل الاجتماعية التى دفعته الى الظهور على مسرح الاحداث وجعلت منه شخصية كبيرة سجل لها التاريخ اثارا حافلة بقيمتها ومؤثراتها الحضارية •

-٢-

لم يدون المؤرخون نسب الصفاريين بشيء من التفصيل ، كما ان الروايات القليلة ألتى بين ايدينا تفتقر الى الدقة والتمحيص • ولعل سبب ذلك يرجع الى فقدان معظم الاصول القديمة التى تناولت الصفاريين وغموض المرحلة التى ظهرت فيها سلالتهم بحيث أصبح البحث فى تاريخ هذه السلالة وحكمها عسيرا • لذلك ينبغى للباخث أن يتحقق من تلك الاصول ومن طبيعة مصادرها (١) • وقد يكون مرجع ذلك الى النشأة البسيطة والانحدار الطبقى المتواضع الذى ينتمى اليه يعقوب بن الليث

ملاحظة :

لقد اوردت عن هذين المؤرخين بعض النصوص فى سياق حديثى عن نشاة يعقوب وصفاته فى القسم الثالث من هذا البحث• هذا بالاضافة الى بعض الروايات التى اقتبستها من المؤرخ شاكرمصطفى فى كتابه الموسوم «فى التاريخ العباسى» ص ٧٩_٨١ كماهو مدون فى هذه المقدمة • ولئن كنت قد تأثرت فى كتابة التاريخبالدراسات النفسية والتربوية فمرد ذلك الى انها قد اصبحت عنصرا ملازما للمنهج التاريخى مادامت الاحداث الاسلامية فى بعض الاوقات مرتبطة بشخص الخليفة أو الامير • ولكون هذه الدراسات ايضا تشكل الان جانبا • حضاريا فى المجتمع العربى الاسلامى•

(١) بارتولد: تاريخ الدولة الصفاريه • ترجمة د• منذر البكر• مجلة كلية الاداب العدد الثانى ص ٢٤٦ •

الا أن ثمة اتفاقا تجتمع عليه مصادرنا فى تسمية والده (الليث) .ولكن الاختلاف الذى وقع فيه الرواة كان قد حصل فى نسب اجدآده بعد ابيه . فذكره حمزة الاصفهانى بانه (يعقوب بن الليث) . فذكره حمزة الاصفهانى بأنه (يعقوب بن الليث بن حاتم) ([٢]) بينما جاءت رواية كرديزى مخالفة لذلك فقال بأنه (يعقوب بن الليث بن معدل)([٣]) . الا ان النص الكامل لنسب يعقوب قد ورد فى كتاب تاريخ سيستان الذى يعد أقدم مدونة تاريخية اهتمت بأخبار الصفاريين وسجلت شؤونهم بشىء من التفصيل فقال هو (يعقوب بن الليث بن معدل بن حاتم بن ماهان بن كيخسرو بن أردشير بن قباذ بن خسرو البرويز بن هرمز بن خسروان بن انو شروان) ([٤]) وبناء على ذلك فأن يعقوب الذى يعد مؤسس الامارة الصفارية فى (سجستان) ينتمى الى عائلة ايرآنية الاصل يرجع نسبها الى طبقة الملوك الساسانيين . ومع أن الكتاب جاء محابيا للصفأريين،لكن ثمة شكوكا تدور حول صحة هذا النسب وقد أبدى ابن خلدون

---

(٢) تاريخ سنى ملوك ألارض والانبياء ص ١٦٩.

(٣) زين ألاخبار ص ١٠

(٤) تأريخ سيستان : للمؤلفه المجهول .ألنص الفارسى. باعتناء ملك الشعراء شاوران محمد تقى بهار . ط طهران ١٣١٤هـ ص ١٠١ ، ٢٠٨-٢٠٩ .

(٥) «سجستان» ناحية كبيرة واسعة . ذهب بعضهم ألى أنها أسم للناحيه ، وان أسم مدينتها زرنج بينها وبين هراة ثمأنون فرسخاً وهي جنوب هراة وأرضها كلها رملة سبخة وألرياح فيهاألا تسكن أبدا، أنظر: ياقوت ـ ألبلدان ٣/٤١. وقد ضمت هذه الولاية الى اعمال خراسان «يولونها رجالا من قبلهم وذلك أن ألشراة غلبت عليها وكثرت عليها» أنظر: أليعقوبى ـ ألبلدان ص٢٨٦

استغرابه في مثل هذه الانساب عندما قال (ولا وثوق لنا بهذه الاسماء)(٦) وقد يكون الصفاريون المتأخرون من أخلافه ، علما بأن العوائل الحاكمة في ايران كانت تختلق لها الانساب التي تتصل بالملوك الساسانيين ، خاصة وأن المصادر السنية كانت تعطف عليهم •

كني يعقوب بن الليث بـ (أبو يوسف) (٧) ، ولكننا لاندرى متى كان ذلك • افي شبابه ام بعد شهرته وتقدمه ؟ ولسنا نعلم ايضا ان كان متزوجا وله ابناء يدعى اكبرهم بـ (يوسف) •ام ان الكنية جاءت جريا على ماكان شائعا من تكنية الولاة والامراء والقواد المشهورين في تلك الازمان بما يعظمهم ويرفع من شأنهم •

اما لقب الصفار فهو نسبة الى معدن الصفر •حيث تشير المصادر الى ان يعقوب واخاه عمرا كانا في حداثتهما صانعين في عمل الصفر في سجستان (٨) فجاء اللقب الى المهنة دون النسبة الى اجداده اوالولاء لقبيلته او الانتساب لمدينته وبه سميت امارته بالصفارية •

ليست لدينا معلومات عن الوقت الذى اسلم فيه (ماهان) وعلى يد من كان اسلامه • ولكن تسمية ابنه الوحيد بـ (حاتم) وابنه (معدل) وحفيده (الليث) يدل على انهم كانوا مسلمين • كما لانجد في الاخبار التي يقدمها المؤرخون مايبين ان لوالد يعقوب أو اجداده اخوه غير

---

(٦) التاريخ ٤/٧١٢ ومابعدها•
(٧) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٤
(٨) الاصطخرى ـ مسالك الممالك ص ٢٤٦، أبن حوقل ـ صورة الارض ص ٤١٩ ، كرديزى ـ زين الاخبار ص١٠، أبن الاثير ـ الكامل ٧/٦٥ ، أبو الفداء ـ المختصر م١ ج٣/٦٦•

ماورد في سلسلة النسب التي قدمها لنا صاحب تاريخ سيستان (٩) وكل مانعلمه ان «الليث» كان له اربعة اولاد هم يعقوب وعمرو وطاهر وعلي (١٠)

كان يعقوب واخوته من عامة الناس مجهولي الشخصية ، ومن افراد قرية «قرنين» (١١) من ولاية سجستان ، وعندما غادر يعقوب القرية اتجه الى المدينة باحثا عن عمل يمتهنه ، حيث استقر اخيرا في محل للصفارة وصناعة النحاس ، اذ كان دخله الشهري خمسة عشر درهما (١٢). ويبدو او عمل الصفر وراتبه الزهيد لم يكن ليفي بمتطلبات يعقوب المعاشية ، فأستبدلها بعمل الوزانة ، ثم تحول عنها الى السرقة وقطع الطرق . حتى اصبح جنديا بسيطا ، ثم قائدا لعصبه من المتطوعين المشجعان الذين ظهروا في سجستان «وبست» (١٣) لمحاربة الخوارج (١٤) وهؤلاء قد اطلق عليهم

---

(٩) لقد اورد زامباور شجرة انساب الصفاريين معتمدا في ذلك على ابن الاثير - الكامل ، الجوزجاني - طبقات ناصري ترجمة Rorerty ، دائرة المعارف الاسلامية ط الفرنسية مادة «الصفاريون» بقلم T.W. Haig محمد بن عبدالجبار العتبي - الكتاب اليميني . انظر : معجم الانساب ص٣٠٢-٣٠٣.

(١٠) الاصطخري - مسالك الممالك ص ٢٤٥-٢٤٦، ابن حوقل - صورة الارض ص ٤١٩، ياقوت - البلدان ٤/٧٣-٧٤.

(١١) «قرنين» بفتح اوله وسكون ثانيه وكسر النون واخره نون ايضا. قرية من رستاق نيشك. لها قرى ورساتيق. وهي على مرحلة من سجستان عن يسار الذاهب الى بست على فرسخين من شروزن . انظر : الاصطخري - مسالك الممالك ص٢٤٥، ياقوت - البلدان ٤/٧٤ .

(١٢) كرديزي - زين الاخبار ص ١٠.

(١٣) «بست» بالضم . مدينة بين سجستان وغزنين وهراة . واظنها من اعمال كابل وهي من البلاد الحارة المزاج كثيرة الانهار. انظر: ياقوت - البلدان ١/٦١٢ .

(١٤) كرديزي - زين الاخبار ص ١١

فى المصادر باسم (المتطوعة) (١٥) أو مع شيء من الازدراء ب(العيارون)

أما عمرو بن الليث فأن الرواة قد اشاروا الى مشاركته اخاه يعقوب بعمل الصفر فى بداية امره (١٧) وفى رواية للاصطخرى مايفيد بأنه كان مكاريا • وفى بعض أيامه اشتغل بحرفة البناء (١٨) •وقدرافق عمرو اخاه يعقوب فى مهامه السياسية حتى أصبح وارثا لحكم الامارة الصفارية بعد وفاة أخيه سنه ٢٦٥ هـ (١٩)

ويبدو أن طاهر بن الليث كان خاملا فى شبابه ، اذ ليس هنالك مايشير الى كونه عنصرا مهما فى الاحداث السياسية التى دونها المؤرخون لاخوانه • ولكن الاصطخرى يقول بأنه قد (قتل بباب بست) (٢٠) ويعلل صاحب تاريخ سيستان سبب ذلك نتيجة المعركة التى وقعت بين اخيه يعقوب وحركة المطوعة سنة ٢٤٤ هـ (٢١)• ويفهم من سياق الرواية أن طاهرا كان أحد قواد أخيه الذين شاركوه فى المعارك التى خاضها ضد اعدائه •

---

(١٥) «ألمتطوعة» أو ألمطوعة • جماعة تشكلت من مختلف طبقات ألناس التي كانت تعتبر حركة الخوارج خروجا عن الدين وألقانون و للمحافظة على الامن والنظام فى الولاية • أنظر : مقالة قحطان الحديثى – حركات الخوارج فى خراسان : مجلة كلية ألاداب • العدد (٦) ص ١٥٤ •

(١٦) أنظر : مقالة بوزورث – جيش الصفاريين – ترجمة د• عبدالجبار ناجى ، وتعليق قحطان الحديثى ،مجلة كلية الاداب • العدد (٧) ص ١٩٦ •

(١٧) أنظر : هامش «٨»

(١٨) مسالك الممالك ص ٢٤٦ ، وانظر : أبن حوقل– صورة الارض ص٤١٩

(١٩) الطبرى – التاريخ ٣/١٩٣١ ، المسعودى –مروج الذهب ٢٠٢/٤

(٢٠) مسالك الممالك ص ٢٤٥

(٢١) تاريخ سيستان ص ١٩٩

أما على بن الليث الذى كان أصغر اخوته سنا ،فالاصطخرى يذكر بأنه كان قد «استأمن الى رافع (٢٢) «بجرجان» (٢٣) ومات «بدهستان» (٢٤) وقبره هناك » (٢٥) كما يشير صاحب تاريخ سيستان بأن يعقوب عندما واتته المنية اشار بوصيته بأنه يرغب فى ان يعقبه اخوه على امارته (٢٦)

ومن الجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لاتنسب أى دور مهم لعلى خلال وجود يعقوب • فقد جاء ذكره واليا «لهراة» (٢٧) بعد ان سيطر عليها يعقوب فى المرة الاولى عام ٢٥٣ هـ (٢٨) •وعلى الرغم من ان عليا تمتع بنفوذ واسع من لدن الجيش ، فأن عمرا هو الذى أخضع موضوع الوراثة الى التحكيم بعد وفاة يعقوب • وقد ظهر منتصرا من خلال هذه

---

(٢٢) «رافع بن هرثمة» كان تبعا لابى ثور أحد قواد محمد بن طاهر من أهل «مامين» من قرى «كنج» ورستاقة• أستقدمه أحمد الخجستانى فجعله صاحب جيشه• ولما قتل الخجستانى سنة ٢٦٨هـ بايع الجيش رافع بن هرثمة بمدينة هراة• وأخذ يعمل لحساب الطاهرية مرة ولنفسه مرة أخرى الى ان قتل سنة ٢٨٣هـ فبعث عمرو برأسه ال المعتضد • انظر ترجمته فى أبن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٦٦ـ٤٦٨ •

(٢٣) «جرجان» بالضم واخره نون• مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه • وقيل ان اول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة • انظر : ياقوت ـ البلدان ٢/٤٨ •

(٢٤) «دهستان» بكسر اوله وثانيه • ناحية بجرجان قرب خوارزم • انظر : ياقوت ـ البلدان ٢/٦٣٣ •

(٢٥) مسالك الممالك ص ٢٤٦

(٢٦) تاريخ سيستان ص ٢٣٤ •

(٢٧) «هراة» بالفتح • مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة • أنظر: ياقوت ـ البلدان ٤/٩٥٨• ص ٢١٩ •

(٢٨) تأريخ سيستان ص ٢٠٨ • وانظر: بوزورث ـ جيش الصفاريين

الاجراءات ، فحصل على البيعة من الجيش • اما على السوء الحظ فأنه دخل فيما بعد في مراسلات تأمرية مع (احمد بن عبدالله الخجستاني) ([29]) عدو عمرو من اجل السيطرة على خراسان • وفي سنة ٢٧٦ هـ هرب من الاسر لينضم الى رافع بن هرثمة ([30]) •ولعل اشارة الاصطخري جاءت مؤكدة النهاية التي ال اليها علي • ويمكن اعتبارها مكملة لرواية تاريخ سيستان •

- ٣ -

ان الاخبار المروية عن المرحلة الاولى في حياة يعقوب مليئة بالمتناقضات بحيث لايمكن اعتبارها حقائق يطمأن اليها بالقياس الى مناهج البحث العلمي الحديث ([31]) • فلم نعثر على مصدر يخبرنا بالتفصيل عن السنه التي استقبل الطفل بها ضوء الحياة ، وكيف ربى في اعوامه العشرة الاولى على الاقل الا قياسا على اقرانه من ابناء الاسر الفقيرة في سجستان ومادام يعقوب الابن الاول من بين اخوانه ،فأن الناس قد اعتادوا يومذاك على الاهتمام بالبكر ايما اهتمام ولكن مولده في بيت ابيه لم يكن كما يظهر بالحادث المهم ، وربما لم يحدث اية ضجة فرح في صدر والده وذويه ، لانه مثل كل شيء ولد في بيت من عامة الناس يتسم بالبساطة والفقر ، ولانه جاء في فترة عسرة اقتصادية ، وازمة فكرية وضيق اجتماعي

---

(٢٩) «احمد بن عبدالله الخجستاني» من قرية خجستان على جبال هراة من أعمال باذغيس• كان من الخوارج ثم اصبح في خدمة محمد بن طاهر والي خراسان• فلما استولى يعقوب على نيسابور ضم احمد اليه • ولكنه شق عصا الطاعة على الصفاريين وأخذ يعمل لنفسه للسيطرة على خراسان • قتل سنة ٢٦٧هـ • انظر : ابن الاثير – الكامل ١٠٥/٧

(٣٠) تاريخ سيستان ص ٢٣٤ • وانظر : بوزورث – جيش الصفاريين ص ٢١٩–٢٢٠ •

(٣١) بارتولد – تاريخ الدولة الصفارية ص ٢٤٥

كانت تعيشها سجستان قبل قرن من وفاته على الاقـل (٣٢) •ويبدو ان اباه لم يعن بتربيته في ايام نشأته لانشغاله بامور حياته ومشـاكلها •وعليه فكان بوضعه الاجتماعي المتواضع يشعره بشـيء من النقص بين اقرانه من ابناء الطبقات المترفة • فحاول ان يسد ذلك النقص بما اوتـي من راي ودهاء ، او باندفاع غريب نحو المغامرات الجريئة (٣٣)

ولاننسى هنا ماللبيئة والظروف المحيطة بالناشيء من اثر في تكوين اخلاقه وتوجيه تصرفاته في مستقبلة ، ولعله قد ورث مزيجا من اخلاق نوية ومجتمعة • وهما عنصران قد يبدوان مختلفين ،فعاش في بيئة يغمرها الكثير من التناقضات التي كانت تطوف في مخيلة يعقوب في صباه ونشأته فيفهم بعضها ، ويعجز عن فهم البعض الاخر ثم يسير في طريقه وقـد علق في نفسه ماعلق • حتى اذا كبر وشب عن الطوق لم يسـلم من اثارها في نفسه ولم يستطع ان يخفيها في بعض تصرفاته (٣٤) •فقد عودته حياته الاولى او اصله المتواضع كصـفار على نوع من الحياة الخالية من الملذأت فالمصادر تشير الى ان طبيعة يعقوب كانت تاملية ، وانه لايكشف عن اخطاره الخاصة لاى شخص ، فكان يقضـي أكثر اوقاته بمعزل عن حاشـيته ، كما كان يتخذ قرارته كانه بنفسه دون ان يستشير احدا (٣٥) •وبشـكل اعتيادي فأن اخوانه ومساعده (الذى ذكره المسعودى تحت لقب العزيز)

---

(٣٢) تاريخ سيستان ص ١٨٦ ومابعدها•

(٣٣) الاصطخرى ــ مسالك الممالك ص ٢٤٧، المسعودى ــمروج الذهب ٢٠٢/٤ ، ياقوت ــ البلدان ٧٤/٤، ابن الاثيرــ الكامل ٧ــ٦٥ •

(٣٤) انظر فيما ذكرت • شلبى ــ في قصور الخلفاء العباسيين ص٢٦٧ ومابعدها، الجومرد ــ ابو جعفر المنصور ص ٦٠ ومابعدها•

(٣٥) المسعودى ــ مروج الذهب ٢٠٣/٤ــ٢٠٤ • وانظر : بوزورث ــ جيش الصفاريين ص ١٩٢ــ١٩٣ •

والذين كانت خيامهم وراء خيمته ، كان لهم وحدهم حق الاتصال به مباشرة (٣٦) .

ويعقوب نادرا ماشوهد يضحك أو يبتسم ، ويؤكد أبن خلكان هذه الصفة بقوله (وكان قل أن يرى مبتسما) (٣٧) ويعلق صاحب تأريخ سيستان على مناسبة اظهر فيها يعقوب سروره ومرحه (٣٨) .وكانت تسليته الوحيدة كما قيل قد أقتصرت على مراقبة تدريب ولعب عبيده وغلمانه الصغار والتي كانت تشمل امورا اشبه بالمعارك الوهمية (٣٩). وهذه الصفةالانعزالية في يعقوب قد اعطته شخصية قوية مؤثرة في نفوس من كان يتولى قيادتهم ولهذا فمن الممكن وصف يعقوب بأنه كان قائدا عسكريا متخصصا بصورة كلية (٤٠) .ولقد قدرت عبقريته في هذا المجال من قبل البروفسوربوزورث في مقالته الموسومة بـ (جيش الصفاريين) (٤١) .

ولقد أكثرت الروايات في الاشادة الى الطابع الاندفاعي في نفسية يعقوب نحو المغمرات وحبه للمعارك والحروب ، وماكان ليتصف به من الشجاعة والبسالة ، فهذا اليعقوبي يصفه بـ (البأس والنجـدة) (٤٢) ويقول عنه الاصطخري بأنه (كان له على مايحبه) (٤٣) .ويشير ياقوت الى هذه الصفات بقوله انه قد(ظهر منه في ذلك نجدةوعزم وحزم)،فجعلوا ـ أصحابه ـ بعد ذلك لايعروهم امر شديد الا انتدب له يعقوب فعظم قدره)

(٣٦) ن.م. ٤/٢٠٥

(٣٧) وفيات الاعيان ٥/٤٦٤

(٣٨) تاريخ سيستان ص ٢١٣ .

(٣٩) المسعودي ـ مروج الذهب ٤/٢٠٤

(٤٠) بوزورث ـ جيش الصفاريين ص ١٩٣

(٤١) نشرت هذه المقالة في مجلة
((Bulletin of the school of Oriental and African studies))
- University of London Vol. xxxi part 3, 1968, pp. 534-554.

(٤٢) التاريخ ٢/٦٠٥

(٤٣) مسالك الممالك ص ٢٤٧

(٤٤) ويعلق الذهبي عليه بقوله ان فيه (شجاعة عظيمة مفرطة) (٤٥) •

ولعل ثمة عوامل وراثية ومؤثرات تربوية قد نمت في نفسية يعقوب منذ طفولته ، قد أخذت تثير في شعوره كوامن العظمة والقوة لسد ذلك النقص الذي كان يعانيه من الضعف والفقر أيام نشأته الاولى • كذلك بالقرب من مكان ميلاده كان ولايزال يرى أثار اسطبل حصان رستم العظيم ومن الممكن ان تكون الاسطورة البطولية لها تأثير عليه (٤٦)

ويستنتج من المصادر التي دونت حروبه وانتصاراته فيها ، انه قد نشأ صحيح البنية نشيطا في حركاته قوي الجسم لتلبية متطلبات الغزو والحروب (٤٧) • ولعله قد اتقن صناعة القتال بكل فنونه ايام شبابه حينما اصبح ضابطا يمتلك عصبة من المتطوعين الذين برزوا في سجستان لقتال الخوارج (٤٨) •

وعن علي بن الحكم حاجب يعقوب قال (سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التي على وجهه وهي منكرة على قصبة انفه ووجنته، فذكر ان ذلك اصابه في بعض وقائع الشراة وانه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه هذه الضربة فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط • قال ـ فمكثت عشرين يوما في فمي انبوبة قصب وفمي مفتوح لئلا يتقرح رأسي وكان يصب في حلقي الشيء بعد الشيء من الغذاء) قال صاحبه (وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبيء اصحابه للقتال ويقاتل) (٤٩) • ولقد

---

(٤٤) معجم البلدان ٤/٧٤

(٤٥) العبر في خبر من غبر ٢/٣٢

(٤٦) Noldeke : Sketches From Eastern History . p. 178

(٤٧) كرديزي ـ زين الاخبار ص ١١

(٤٨) ن• م•

(٤٩) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٧ •

اطلق عليه عدوه (الحسن بن زيد العلوى) (٥٠) لقب (السـندان) اى سندان الحداد لثباته وقوته فى سوح المعارك (٥١) وهكذا يتضح ان يعقوب قد امتاز بقدرة قتالية وجرأة حربية كان مثار اهتمام المؤرخين وتعليقاتهم. فذكر ابن حوقل بانه قد (استفحل امره) (٥٢) ويقول الذهبى عنه بأنه قد (غلب على المشرق وهزم الجيوش) (٥٣) وفى حوادث سنة ٢٦٠ هـ يشير الذهبى ايضا بقوله (صال يعقوب بن الليث وجال وهزم الشجعان والابطال) (٥٤) . وفى مكان اخر فى حوادث سنة ٢٥٩ هـ يؤكد ظهور يعقوب بن الليث فى خراسان وانه قد (كثر جموعه ودوخ الممالك ... وكاد ان يملك الدنيا) (٥٥) حتى ان ابن خلدون قال (وكانت له شرية فى اصحابه لم تكن لاحد من قبله فحسنت طاعتهم له وعظم امـن امـره) (٥٦) .

وكان يعقوب يتمتع بمكانة طيبة بين اتباعه ، فله شعبيته التى كانت

---

(٥٠) «الحسن بن زيد» مؤسس الامارة الزيدية بطبرستان. من أئمة الزيدية. يتصف بالفضائل والكرم كما عرف بالشجاعة وتدبير الملك. وقد بقيت امارته الى مايزيد عن نصف قرن. انظر: ترجمته فى الاشعرى - مقالات الاسلاميين ص ٨٣، الشهرستانى - الملل والنحل ص ١٢١ ، الطبرى - ألتاريخ ١٥٢٧/٣، ابن اسفنديار تاريخ طبرستان ٢٢٨/١ .

(٥١) ابن الاثير - الكامل ١١٦/٧، ابن خلكان - وفيات الاعيان ٤٦٤/٥

(٥٢) صورة الارض ص ٤٢٠ .

(٥٣) العبر فى خبر من غبر ٣٢/٢

(٥٤) ن.م ٩/٢

(٥٥) دول ألاسلام ١١٤/١ .

(٥٦) التاليخ ٦٢١/٣ . وانظر في معنى «شريه» التي تغير التقدم على اصحابه فى القتال ابن منظور - لسان العرب ٤٢٧/١٤، الزبيدى تاج العروس ١٩٦/١٠

«مدعاة لشهرته وتقدمه»(٥٧). وكانت حياته بسيطة خالية من التعقيد وبعيدة عن ابهة الحكام وبهرجة الولاة والسلاطين. وبحياته هذه استطاع أن يرسم مثالا لبقية جنده، فكان «لا يجلس الا على قطعة مســح يشبه أن يكون طوله سبعة اشبار فى عرض ذراعين او ارجح. والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه، وليس فى مضربه شيء غيره . فاذا اراد ان ينام من ليلـه او نهاره ، اضطجع على ترسه، ونزع راية فيجعلها مخدتـــه. واكـثر لباسـه خفتان مصبوغ قاختى»(٥٨) اما طعامه فيتكون من انواع سمجه هى فى الغالب من المحاصيل المنتجة فى سجســـتان مثل الخبز، شــعير، رز، كراث، بصل، حلتيت، سمك(٥٩). وبناء على ماأورده المسعودى فــان يعقوب كان يشترك مع جنده فى تناول الطعام الذى كان يهيا لهم يوميا(٦٠). ومن خلال تواضعه هذا وبساطته فى العيش تمكن يعقوب ان يضبـــع لنفسـه مركزا اجتماعيا طيبا بين اصحابه .

اما الحديث عن كرمه وسخائه ، فقد اجاد المسعودى وصفه حين قال «كان قد شملهم ــاتباعهــ من احسانه ، وغمرهم من بره »(٦١) . واعتمادا على ماأورده كرديزى فأن يعقوب كان يشارك اصحابه فـــى «كل مايملك او يحصل عليه»(٦٢). وفى كثير من المناسبات كان سخاؤه وعطاؤه لجنده مثار اهتمامهم وتعلقهم به(٦٣). وفى الاوقات التى تكـــون

---

(٥٧) كرديزى ــ زين الاخبار ص ٥

(٥٨) المسعودى ــ مروج الذهب ٤/٢٠٤

(٥٩) ن.م. وانظر : بوزورث ــ جيش الصفاريين ص ١٩٣ وانظر فـــى نفس المقالة معنى (حلتيت) ص ٢٣٤ هامش ٣١ .

(٦٠) مرجع الذهب ٤/٢٠٥

(٦١) ن.م ٤/٢٠٢ .

(٦٢) زين الاخبار ص ٥ .

(٦٣) الطبرى ــ التاريخ ٣/١٧٠٢ ، ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة ٢/٣٢٧ .

العلاقة بين يعقوب والخلافة العباسية حسنة، فان هباته لها كانت صورة صادقة لذلك الكرم الذى اتصف به ، وأن كان يضفى عليه طابعه السياسى لتمرير مشاريعه التوسعية(٦٤).

وفى الحقيقة هناك علامات كثيرة مميزة فى صورة الزعيم او القائد يعقوب بن الليث الذى يعرف نفسه جيدا انه لم يكن من بيت عريق فى النسب، وانه يقود عصبة انضوت تحت لوائها عناصر متباينة طبقيا متنوعة فكريا جمعتها وحدة الهدف لقتال الخوارج . وهكذا كان لابد ليعقوب ان يمتلك من اسباب الذكاء والدهاء وحسن السياسة مايمكنه من «حسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته»(٦٥) فكانت سياسته كما وصفها المسعودى لمن معه من الجيوش «سياسة لم يسمع بمثلها من سلف من الملوك فى الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف»(٦٦) وهذا ابن الاثير يقول «واطاعة اصحابه يمكن وحسن حاله طاعة لم يطيعوها احدا كان قبله»(٦٧). وذكر ابن خلكان عنه «واطاعة اصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها احدا كما كان قبله» (٦٨)

ويبدو ان يعقوب كان يتصف بالكياسة ورجاحة العقل والتأنى فيما يتخذه من قرار او تدبير . فالرواة يشيرون الى انه كان «حازما

---

(٦٤) انظر هدايا يعقوب الى الخلفاء العباسيين فى الطبرى ـ التاريخ ١٧٠٦/٣ ، الخالد بن التحف ص ٢٦٠ ، ابن الزبير ـ الذخائر ص ٣٩ ، الغروى ـ مطالع البدور ١٣٥/٢، الابشيهى ـ المستطرف ٥٤/٢ .

(٦٥) المسعودى ـ مروج الذهب ٢٠٢/٤

(٦٦) ن. م .

(٦٧) الكامل فى التاريخ ٦٥/٧

(٦٨) وفيات الاعيان ٤٤٥/٥ .

عاقلا»([69]) وابن كثير يصفه بقوله « احد الملوك العقلاء الابطال»([70]).

ويبدو انه كان شديد الثقه بنفسه حيث «لا يطلع احدا على سره ولا يعرف احدا بتدبيره وعزمه ، واكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير مايضمره»([71]). واعتمادا على رواية البيهقى ومصادر اخرى مثل ابن خلدون ، يتضح ان يعقوب كـان ذا شهامة ومروءة نادرتين وصراحة كبيرة ، وكان يجيد اختيار عماله وولاته ، ويعرف كيف يستخدمهم فى اسباب الادارة والملك([72]). حتى قيل عن لسانه ذات مرة «كل من عاشرته اربعين يوما ولا تعرف اخلاقه، لا تعرفها فى اربعين سنة »([73]). وهذه السياسة الواضحة كانت ذات اثر كبير فى نجاح سيطرته على ما حازه من الاقاليم والمدن. اذ لم يحاول اختلاق الحيل الشرعية لتبرير اعماله، بل اعتبر السيف اساس حقه([74]). وفى هذا المجال قال عنه حمزةالاصفهانى انه كان «اضبط لامرهم واسوس»([75]) وابن خلكان يذكر بانهم قد «ملكو امرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بامرهم»([76]). واذا تطرقنا فى الحديث عن ادارته الناجحة فى البلاد آلتى خضعت له فرواية اليعقوبى بعد احتلاله

---

(٦٩) أبن ألاثير – الكامل ٧/١١٦ ، ابن خلكان – وفيات الاعيان ٥/٤٦٤ ، ابو الفداء – المختصر م١ط٣ /٦٦

(٧٠) البداية والنهاية ١١/٣٨ .

(٧١) المسعودى – مروج الذهب ٤/٢٠٣-٢٠٤ .

(٧٢) البيهقى – تاريخ بيهق ص ٢٧١ ، ابن خلدون-التاريخ٣/٦٢٠

(٧٣) ابن الاثير – الكامل ٧/١١٦، ابن خلكان – وفيات الاعيان ٥/٤٦٤ .

(٧٤) الدورى – دراسات فى العصور العباسية المتاخرة ص ١١٦ .

(٧٥) تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء ص ١٦٩

(٧٦) وفيـات الاعيان ٥ / ٤٤٥

«كرمان»(٧٧) سنة ٢٥٥ هـ خير دليل على قابليته الادارية حينما قال «واحسن اثره فى البلاد»(٧٨) وفى حوادث سنة ٢٥٣هـ يشير ابن الاثير فى سياق حديثه عن يعقوب بعد سيطرته على سجستان حيث ورد نصه «وضبط الطرق وحفظها وامر بالمعروف ونهى عن المنكر(٧٩)» ولم يكن ذلك على مايبدو محض صدفة أو مجرد اعتبار ساذج، فالنظام(٨٠) الذى وضعه يعقوب داخل صفوف جيشه ، والمحافظة على ذلك النظام جعل منه قوة كبيرة هزت الخلافة العباسية والمشرق الاسلامى ردحا من الزمن . كما كان موضع اعجاب المؤرخين ودهشتهم حينما قالوا عنه «كادان يملك الدنيا»(٨١) حتى لقبوه بـ«الملك»(٨٢) لعظمته وجبروته وتأثيره فى النفس. فعندما قام يعقوب بحملة ضد الداعى الكبير الحسن بن زيد فى «طبرستان»(٨٣)، اندهش رسل الخليفة الذين رافقوه من

---

(٧٧) «كرمان» بالفتح ثم السكون وأخرة نون وربما كسرت والفتح اشهر بالضمة وهى ولاية وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان . أنظر: ياقوت ـ البلاد ٤/٢٦٢

(٧٨) التاريخ ٢/٦٠٥

(٧٩) الكامل فى التاريخ ٧/٦٥ .

(٨٠) لست هنا فى معرض الحديث عن تنظيمات الصفاريين ويعقوب بالذات ، فذاك امر خارج عن موضوعنا ويتعلق بالجانب الحضارى للامارة ، وانما اوردت بعض الامثلة هنا لتوضيح قدرة يعقوب الادارية والنظامية داخل صفوف جيشه .

(٨١) ياقوت ـ البلدان ٤/٧٤ ، الذهبى ـ دول الاسلام ١/١١٤ ، ابن العماد ـ الشذرات ٢/١٣٩

(٨٢) البيهقى ـ تاريخ بيهق ص ٢٧١ ، الذهبى ـ دول الاسلام ١/١١٧ ابن كثير ـ البداية والنهاية ١١/٣٨ .

(٨٣) «طبرستان» بفتح اوله وثانيه وكسر الراء . وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم . والغالب على هذة النواحى الجبال . وهى بين الرى وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل . انظر ياقوت ـ البلدان ٣/٥٠١

هذا النظام، لانه كان قادرا ان يمنع جنده من انتهاب اى شيء على الاطلاق من معسكر الحسن بعد هروب الاخير مندحرا(٨٤).

ويصف المسعودى ايضا كيف ان يعقوب ذات مره حينما كان بأرض «فارس»(٨٥) اعطى امرا فجائيا بوقف رعى الحيوانات تاهبا للرحيل ، فما كان من احد رجال جيشه الا ان اخذ العلف بسرعة من ثم حصانه . بل والاكثر من هذا ان ضابطا كبيرا اتى مسرعا وهو عريان الامن سلاحه ، اذ كان يستحم حين دعا الداعى الى حمل السلاح(٨٦).

واستنادا الى الروايات المتاخرة القليلة التى وردتنا حول الجانب الدينى والمذهبى ليعقوب ، يبدو انه كان رجلا متدينا، لكننا لا نعلم مدى تمسكه بالدين واداء فرائضه والقيام بامره . فياقوت لم يبد توضيحا كافيا اكثر من قوله «واظهروا بقصد مع اخيه عمرو ـ الزهد والتقشف مااستمال أليهم العامة»(٨٧) ولم يزد ابن الاثير اكثر مما ذكره ياقوت(٨٨) ولكن ابن خلكان يورد نصا على لسان صاحب بريد فارس ووجوه البلد حينما خاطبوا يعقوب بالكف عن احتلال الولاية جاء فيه «... مع ماوهب له الله من التطوع والديانة»(٨٩).

ومن المعقول ان يكون من طبيعة الطبقات الفقيرة من الموالى في

---

(٨٤) المسعودى ـ مروج الذهب ٤ / ٢٠٤ .

(٨٥) «فارس» ولاية واسعة واقليم فسيح اول حدودها من جهة العراق ارجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف . ومن جهة السند مكران . انظر ياقوت البلدان ٣/٨٣٥

(٨٦) ن.م ٤/٢٠٢ . وانظر : بوزورث ـ جيش الصفاريين ص١٩٤

(٨٧) معجم البلدان ٤/٧٤

(٨٨) انظر : الكامل فى التاريخ ٧/٦٥

(٨٩) وفيات الاعيان ٥/٤٤٩ .

تلك الازمان ان تظهر تمسكها بالدين لتقوية مركزها الاجتماعي وتعويض نقصها الطبقي • ومن المعقول ايضا ان تصبح رواية الاصطخرى من ان التاثير الديني قبل بروز يعقوب على مسرح النشاط السياسي وارتفاع امره ، متأت من خاله كثير بن رفاق الذين كانت له زعامة الخوارج في احدى قلاع سجستان ، والذى كان يعقوب واخوته من المؤيدين له والمنضوين تحت لوائه(٩٠)•

ومن الجدير بالذكر ان يعقوب لم يكن ليسمح بقيام نشاط شيعي في خراسان • فقد حاول جاهدا تصفية الامارة اليزيدية في طبرستان سنة ٢٦٠هـ (٩١) • كما ظفر في حملته هذه بجماعة من ال ابى طالب فاساء اليهم واسرهم (٩٢) • هذا بالاضافة الى عدم اتفاقه مع صاحب الزنج ضد الخلافة بعد اندحار يعقوب سنة ٢٦٢ هـ في معركته مع المعتمد بالله ،لانه لايرغب في تأييد الاتجاه الشيعي انذاك • (٩٣)

وهكذا يتضح ان المذهب الديني للصفاريين كان متفقا مع اهل السنة أو لهذا كانوا «حلفاء بغداد الطبيعين ضد العلويين والخوارج» (٩٤)•

ولزاما علينا ونحن بصدد الحديث عن الحركة الفكرية ليعقوب بن الليث ان نتطرق الى النواحي الثقافية في شخصية القائد والمؤسس للامارة الصفارية في سجستان فرواية الزبيدى (٩٥) اليتيمة والتى تبدى شغفه

---

(٩٠) مسالك الممالك ص ٢٤٧ • وانظر : ابن حوقل ـ صورة الارض ٤١٩ـ٤٢٠ •

(٩١) الطبرى ـ التاريخ ١٨٨٤/٣ ، أبن الاثير ـ الكامل ٩٥/٧ •

(٩٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٤٥٤/٥

(٩٣) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧

(٩٤) الدورى ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١١٩

(٩٥) طبقات النحويين واللغويين ص ١٠٠

بالادب العربى قد لاترسم لنا الاطار الكامل لاهتمام يعقوب فى هذا المضمار ولكنها على اية حال قد تظهر بعض ملامح الجدية فى دراسة الثقافه العربية ورسوخها فى المشرق الاسلامى • ومن يدرى لعل مصادرنا الاولية لم تدون اخبار يعقوب فى مجال العلم والمعرفة • لأن الفترة القصيرة التى ظهر فيها يعقوب ، وانصرافه الكلى لتثبيت اركان دولته سياسيا وعسكريا لم تتح له فرصة لبناء الجوانب الفكرية والحضارية لامارته •

- ٤ -

يبدو انه ليس من العسير علينا أن نصف الامارة الصفارية فى سجستان بانها كانت امارة عسكرية • فقد غطت امبراطوريتهم فى السنوات المتأخرة من القرن الثالث قسما كبيرا من العالم الاسلامى الشرقى غير العربى • ففى الغرب لم يتوقف جيش يعقوب الا فى (دير العاقول) (٩٦) وفى الشمال قام يعقوب واخوه عمرو بحملة فى سواحل (قزوين) (٩٧) ضد امارة العلويين • كما ان عمرا قام بسلسلة محاولات لتوسيع سيطرته فى

---

(٩٦) «دير العاقول» ذكر ياقوت موقعة بين مداين كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا على شاطىء دجلة كان • فأما الان فبينه وبين دجلة مقدار ميل • وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كون النهروان عامرا، فأما الان فهو بمفرده فى وسط البريه • أنظر : البلدان ٢/٦٧٦ •

(٩٧) «قزوين» بالفتح ثم السكون وكسر الواو وياء مثناة من تحت ساكنة ونون • مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا ، والى أبهر اثنا عشر فرسخا • أنظر : ياقوت ـ البلدان ٤/٨٨ •

(خوارزم وماوراء النهر) (٩٨) وفي الشرق دفع الاخوان بنجاح حدود دار الاسلام داخل الاراضى الوثنية فيما يعرف الان بأفغانستان الشرقية ومنطقة الحدود الشمالية الغربية من باكستان • اما فى الجنوب فقد اعترف بسلطة الصفاريين عبر الخليج فى (عمان) (٩٩) •

لقد كان هذا الانجاز الرائع من عمل جنديين عبقريين هما يعقوب وعمرو • واستمرت امارتهم الى أقل من ربع قرن • غير انها اخذت تتحطم عندما أندحر عمرو على يد اسماعيل بن احمد الساماني (١٠٠) سنة ٢٨٧ هـ(١٠١) • وكان يعقوب واخوه عمرو على يقين دائم بان فوتهم ترجع لسبب عسكرى لاالى أعتبارات ادبية ودستورية تتعلق بشكل مبدئي في الحصول على أوامر التقليد من ألخليفة لحكم ألمناطق ألخاضعة

---

(٩٨) «خوارزم» اوله بين الضمة والفتحة والالف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة هكذا يتلفظون به ليست اسما للمدينة انما هو اسم للناحية بجملتها • فاما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية • انظر : ياقوت — البلدان ٢/٤٨٠ •

«ماوراء النهر» يراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياكل : وفى الاسلام سموه ماوراء ألنهر، وماكان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم • انظر: ياقوت — ألبلدان ٤/٤٠٠ •

(٩٩) انظر بوزورث — جيش الصفاريين ص ١٨٩ •

«عمان» بضم اوله وتخفيف ثانيه واخره نون، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند وعمان، تشتمل على بلدان كثيرة • انظر : ياقوت — ألبلدان ٣/٧١٧ •

(١٠٠) «اسماعيل بن احمد» بن سامان بن خداه ، من اصل ايراني يرجع نسبه الى ملوك الساسانيين ، من ولاة ماوراء ألنهر • انظر ترجمته في كرديزي — تريك ألاخبار ص ١٩ ابن الاثير — الكامل ٧/٩٩ ، ابن خلدون — التاريخ ٤/٧١٢ •

(١٠١) بوزورث — جيش الصفاريين ص ١٨٩ — ١٩٠

لهم . ففي حادثة ذكرها نظام الملك يقول فيها ان يعقوب كان يفتخر امام رسول الخليفة باصله المتواضع ، وبان انجازاته تعود الى شجاعته لا الى نسبه أو ولادته كما هو الحال بالنسبة للعباسيين (١٠٢) .

وتشير المصادر الى السبب في خروج يعقوب واخوته وارتفاع امرهم ان (خالا كان لهم يسمى كثير بن رقاق شاريا في بعض الحصون ، وكان قد تجمع اليه جمع فيه وجوه الخوارج) فلما بلغ الخليفة امره ، انفذ من حاصره في قلعة تسمى (فميل) (١٠٣) فضيق الحصار عليه حتى قبض على كثير وقتله ، ففر يعقوب واخوته الى ارض بست للنجاة بأنفسهم (١٠٤) ومع ان الرواية جاءت خالية من تاريخ حدوثها ، الا ان ثمة تاثيرا فكريا يبدو واضحا من خلال تأييده لحركة الخوارج انذاك ، ولكننا نجهل دوافع انقلاب يعقوب عليهم ومعاداته أياهم فيما بعد ، ولعل حركة الخوارج وقتذاك كانت السبب في خروج الكثيرين من انصارها ووقوفهم ضدها . (١٠٥) وحينما وقع يعقوب الى ارض بست اتجه الى المدينة باحثا عن عمل يرتزق منه ، فامتهن بادىء الامر حرفة الصفارة وصناعة النحاس (١٠٦)

---

(١٠٢) سياسة نامه باعتناء محمد قزويني ـ جابخانة حيدرى ـ طهران ١٣٣٤ هـ ص ٠١٥ وانظر : بوزورث ـ جيش الصفاريين ص ١٩١ .

(١٠٣) ذكرها ياقوت باسم «ملاذه» البلدان ٤/٠٧٤ ولكن لا وجود لترجمة هذه القلعة في مصادرنا الجغرافية والتاريخية .

(١٠٤) الاصطخري ـ مسالك الممالك ص ٢٤٧، ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٤١٩ـ٤٢٠ ياقوت ـ البلدان ٤/٧٤ .

(١٠٥) انظر : قحطان الحديثي ـ حركة الخوارج في خراسان ص١٤٧ وما بعدها .

(١٠٦) ابن الاثير ـ الكامل ٧/٦٥، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٤ ، أبو الفداء ـ المختصر م١ ط ٣/٦٦، ابن خلدون ـ التاريخ ٣/٦٢٠ .

. ويبدو ان ثمة اطيافا كانت تراود خيال يعقوب وتفكيره لاغراء طموحه الاجتماعي والاقتصادي فصناعة الصفر ودخلها الزهيد لم يكن ليعوض شعوره بالنقص في الوصول الى مكانة سياسية وقيادية مرموقة •وعليه نراه قد تحول الى عمل الوزانة ،ومنها اتجه الى السرقات وقطع الطرق حتى اصبح جنديا بسيطا (١٠٧) وهنا اظهر الزهد والتقشف مااستحال اليه العامة من الناس (١٠٨) • وهكذا اصبح يعقوب ذا قوة يمتلك رياستها ووضعها في خضم الصراع مع الخوارج لوقـف نشاطهم والقضاء على حركاتهم (١٠٩) • وفي تلك الفترة كان هناك رجل من اهل سجستان يدعى (صالح بن النضر الكناني) (١١٠) مشهور بالتطوع في قتال الخوارج ومحاربتهم (١١١) ايام ولاية (طاهر بن عبد الله الطاهري) (١١٢) على خراسان سنة ٢٣٠ هـ (١١٣) • ويبدو ان يعقوب قد وجد الفرصة المواتية

---

(١٠٧) كرديزي ـ زين الاخبار ص ١٠

(١٠٨) ياقوت ـ البلدان ٤/٧٤، ابن الاثير ـ الكامل ٧/٦٥

(١٠٩) كرديزي ـ زين الاخبار ص ١٠

(١١٠) من بني كنانة من أهل بست كان قد نهض في ولاية طاهر بن عبدالله سنة ٢٣٠هـ حتى تمكن من السيطرة على سجستان وأصبح الوالي الحقيقي فيها الى سنة ٢٣٧ هـ حيث قتل على يد والي خراسان • أنظر: ابن الاثير ـ الكامل ٧/٢٢، ٦٥، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٤، ٤٥٨، ابن خلدون ـ التاريخ ٣/٦٢٠•

(١١١) ابن الاثير ـ الكامل ٧/٦٥، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٤

(١١٢) ينتسب الى طاهر بن الحسين الخزاعي قائد جيش المأمون• ولي خراسان سنة ٢٣٠هـ وتوفي سنة ٢٤٨هـ • كان رجلا متدينـا طيب القلب سمحا جوادا كريما• أنظر : اليعقوبي ـ التاريخ ٢/٥٨٦، ٦٠٤، الطبري ـ التاريخ ٣/١٣٣٨، ١٥٠٥ ، مسكويه تجارب الامم ٦/٥٢٨، ٥٦٣ ، الثعالبي ـ لطائف المعارف ص١٣٨•

(١١٣) اليعقوبي ـ التاريخ ٢/٦٠٤، حمزه الاصفهاني ـ تاريخ سني ص ١٦٩ •

للظهور على مسرح الاحداث السياسية فى خراسان • فصحب صالح فى صراعه مع الخوارج (١١٤) • وفى اشارة لابن الاثير يقول بان يعقوب قد (حظى عنده وجعله صالح مقام الخليفة عنه) (١١٥) • وبانضمام يعقوب لحركة المطوعة ازدادت قوتها ، فوجدت فى نفسها القدرة على النهوض لحرب الخوارج (١١٦) • بدون امر والى سجستان ، فتمكن صالح ومعه يعقوب من احتلال مدينة بست • والسيطرة عليها (١١٧) • ثم رجعا الى سجستان حيث اشتبك مع واليها (١١٨) فى معركة دامية كان النصر للمتطوعة وهزيمة الوالى (١١٩) •

ويظهر ان المتطوعة قد انحرفت عن الاهداف التى وجدت من اجلها واخذت تثير الفوضى والاضطرابات فى سجستان والقبض على زمام السلطة فيها • ولهذا نرى ان صالحا الكنانى قد كسر السجون وانتهب مافى الخزائن من اموال وقسمها على اصحابه لكسب تأييد الناس له (١٢٠) واستنادا الى رواية تاريخ سيستان يتضح ان يعقوب لم يبد ارتياحه لهذه الاعمال فشق عصا الطاعة مع قسم من اتباعه وكون له عصبة خاصة لحرب الخوارج (١٢١) • وبذلك اضعف امكانية صالح الكنانى مما

---

(١١٤) ابن الاثير ـ الكامل ٧/٦٥ ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٤٤، الذهبى ـ ألعبر ٢/٣٢، ابن العماد ـ الشذرات ٢ـ١٥١ •
(١١٥) الكامل فى التاريخ ٧/٦٥ •
(١١٦) وكان على قيادة الخوارج انذاك عمار بن ياسر • انظر : الاصطخرى مسالك الممالك ص ٢٤٧ •
(١١٧) تاريخ سيستان ص ١٩٢ـ١٩٣ •
(١١٨) وكان والى سجستان من قبل الطاهرية هو ابراهيم بن الحسين انظر : الاصطخرى ـ مسالك الممالك ص ٢٤٧ـ٢٤٨ •
(١١٩) حمزة الاصفهانى ـ تاريخ سنى ١٦٩، ابن الاثير ـ الكامل ٧/٢٢
(١٢٠) تاريخ سيستان ص ١٩٥ـ١٩٦ •
(١٢١) ن•م• ص ١٩٩ •

كانت مدعاة لاجهاز طاهر بن عبد الله عليه وقتله سنة ٢٣٧ هـ (١٢٢) ولما هلك صالح اجتمعت المطوعة على بيعة درهم بن الحسين (١٢٣) احد قواده على خلافته فصحب يعقوب درهما كما كان الحال مع صالح(١٢٤) وقد ولى يعقوب مدينة بست عندما اصبح درهم الوالى الحقيقى لسجستان بعد هزيمة اميرها (١٢٥) ٠

وهكذا يتضح ان المطوعة قد طبقت نوعا من الديمقراطية فى حكمهم اذ كانوا ينتخبون اقدر شخص بينهم لتولى الرئاسة ، لذلك اعطى هذا النظام فرصة لكل من توسم فى نفسه القدرة والقابلية والذكاء للظهور فى المقدمة واستلام مقاليد الحكم ٠ ومثال ذلك كان يعقوب الصفار(١٢٦)

ومع ان المؤرخين قد تضاربت اراؤهم فى مسألة اختفاء قائد المطوعة من المسرح السياسى ، الا ان هناك حقيقة تفرض نفسها ، مفادها ان درهما هذا لم يكن فى قدره الزعيم الراحل ، فتطلع الجند الى الشخصية القادرة التى تستطيع بخبرتها وحكمتها متابعة جهود صالح ، لذا قررت المطوعة تولية يعقوب بن الليث أمرهم لما رأوه فيه (من تدبير وحسن

---

(١٢٢) حمزة الاصفهانى ٠ ويؤرخ هذه الحادثة سنة ٢٣٩هـ ٠ انظر تاريخ سنى ص ١٦٩، أبن الاثير الكامل ٧/٢٢ـ٢٣، ابن خلكان وفيات ألاعيان ٥/٤٤٥ ، أبن خلدون ـ التاريخ ٣/٦٢٠، تأريخ سيستان ص ١٩٧ ٠

(١٢٣) ويسميه الاصطخرى «درهم بن نصر» ويعتقد ان ذلك من خطأ النساخ ٠ انظر : مسالك الممالك ص ٢٤٧، أبن حوقل ـ صورة الارض ص ٤١٩ ٠

(١٢٤) حمزة الاصفهانى ـ تاريخ سنى ص ١٦٩، أبن الاثير ـ الكامل ٦٥/٧، المستوفى القزوينى ـ تاريخ كزيدة ص ٣٧٠ ٠ وانظر :
Noldeke : sketches ,p. 177.

(١٢٥) الاصطخرى ـ مسالك الممالك ص ٢٤٧٠ وانظر
Noldeke : sketches ,p. 178 — 179

(١٢٦) Siddiqi : The Caliphate And Saffanids (The Voice of Islam) Vol. xi No.6.p.299,

بسياسه». وحينما تبين درهم في هذا الامر لم ينازعه السلطة فأعتزل وسلمه القيادة . (١٢٧)

وفي رواية للاصطخري يشير بان «درهم بن نصر – كان ، بعد ذلك في جملة يعقوب واصحابه ، ومازال محسنا الى درهم بن نصر حتى أستأذنه في الحج فاذن له فحج واقام ببغداد مدة .ثم رجع رسولا عن امير المؤمنين اليهم – ويقصد يعقوب وجماعته – فقتله»(١٢٨).

وفي اشارة اخرى تذكر بان «صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شانه وكثر اتباعه حتى ظفر به وحمله الى بغداد فحبسه بها»(١٢٩).

وفي تاريخ ابي الحسين عبيدالله بن احمد بن طاهر الذي جعله ذيلا على كتاب ابيه في اخبار بغداد وقال «كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة ٢٤٧هـ »(١٣٠) أي بعد عشر سنوات من وفاة صالح بن النضر الكناني . وهكذا يبدو ان الظروف السياسية قد ساعدت يعقوب على تحقيق رغبته في الوصول الى مناصب اهم واعلى. فخلا الجو ليعقوب في قيادة المتطوعة وادارة شؤونه . ثم قام بحرب الخوارج فأكثر فيهم القتل وضرب دورهم وقراهم ، فأشتهر وذاع صيته وكثر اتباعه وقويت طاعته فيهم . ولكنه تحاشى الاصطدام بوالي خراسان او تنحية

---

(١٢٧) حمزة الاصفهاني – تاريخ سني ص ١٦٩، أبن الاثير – الكامل ابن خلكان – وفيات الاعيان ٤٤٥/٥، أبن خلدون – التاريخ ٦٢٠/٣ ، تاريخ سيستان ص ١١٩، ٢٢٠

(١٢٨) مسالك الممالك ص٢٤٧–٢٤٨ . و انظر :ابن حوقل – صورة الارض ص ٤١٩ .

(١٢٩) أبن الاثير – الكامل ٦٥/٧ .

(١٣٠) ابن خلكان – وفيات الاعيان ٤٥٨/٥ .

ثقته وثقة الخلافة به. مما كان مدعاة لتوليته ولاية سجستان(١٣١). وقد برهن يعقوب على حسن نواياه فاظهر مقدر ادارية وسياسية فاستقامت له الولاية ودانت له بالطاعة(١٣٢). فتعزز بذلك مركزه وزاد مؤيدوه، لكنه بقي طيلة حكم طاهر بن عبدالله لا يجرؤ على القيام باية حركة ضده مما يدل على تخوفه منه، لان قوة طاهر وقابليته في الحكم لم تكن لتسمح بنشوب تمرد في ولاياته ايام حكمه (١٣٣)

وحينما تولى محمد بن طاهر بن عبدالله ولاية خراسان مكان ابيه سنة ٢٤٨هـ(١٣٤) وجد يعقوب فيه متنفسا لظهور طموحه في احتلال خراسان ، حيث كان محمد انذاك شابا حديث السن، ضعيف السياسة والتدبير ، مهملا شؤون رعيته (١٣٥). مما فسح المجال للمتذمرين والطامعين في ملكه للنهوض ضده. وقد استغل الخوارج ضعفه فقاموا بحركة في سجستان بعد ان كانوا هادئين ايام حكم والده طاهر(١٣٦). وعليه نجد ان يعقوب قد استانف نشاطه العسكري بعد ان اذن له محمد بن طاهر بقتال الخوارج . فسار على راس المتطوعة سنة ٢٤٨ هـ واصطدم معهم في معارك كثيرة حتى اثخن فيهم وخرب مساكنهم، وتمكن

---

(١٣١) أبن الاثير – الكامل ٧/٦٥ ، ابن خلكان – وفيات الاعيان ٥/٤٤٥ ، المستوفي القزويني – تاريخ كزيدة ص ٣٧٠ .

(١٣٢) ابن الاثير – الكامل ٧/٦٥ ، تاريخ سيستان ص ٢٠٢ .

(١٣٣) اليعقوبي – التاريخ ٢/٦٠٤

(١٣٤) اليعقوبي – التاريخ ٢/٦٠٥ ، الطبري – التاريخ ٣/١٥٠٦ ، المقدسي – البدء والتاريخ ٦/١٢٣ مسكويه – تجارب الامم ٦/٥٦٣ ، ابن الجوزي – المنتظم ٦/٩٦ .

(١٣٥) الطبري – التاريخ ٣/١٦٩٨ ، الشابشتي – الديارات ص ٨٣ ، البيروني – الجماهر ص ١٨٧

(١٣٦) اليعقوبي – التاريخ ٢/٦٠٤ ، أبن خلدون – التاريخ ٣/٦٢١ .

من نفيهم عن سجستان(١٣٧). ثم زحف يعقوب آلى بست بعد ان ترك على سجستان اخاه عمرا حتى شردهم عن المدينة(١٣٨). وكان لانتصارات يعقوب هذه اثرها فى نفوس اهل خراسان فعظم شأنه ، وارتفعت مكانته ، فكتب الخليفة المستعين الى محمد بن طاهر بتوليته كرمان.فأقام يعقوب فيها وحسن اثره فى البلاد(١٣٩). ثم سار الى هراة واستولى عليها سنة ٢٤٨هـ(١٤٠) والظاهر ان يعقوب قد اكتفى بولاية سجستان حيث انصب اهتمامه فى اخضاع الخوارج لتثبيت مركزه ولضمان الامن فى ولايته.(١٤١)

ومما لاشك فيه ان الثورات العديدة التى قامت فى الولايات التابعة لخراسان(١٤٢) وقيام محمد بن طاهر بقمعها، قد ادت الى انهاك

---

(١٣٧) ن.م. وأنظر : تاريخ سيستان ص ٢٠٥ - ٢٠٧

(١٣٨) تاريخ سيستان ص ٢٠٥ .

(١٣٩) اليعقوبى - التاريخ ٢/٦٠٥ . وكانت كرمان من الولايات التابعة للطاهريين وتحكم من قبلهم . أنظر : ابن خرداذبة - مسالك الممالك ص ٣٥ ، قدامه - الخراج ص ٢٤٢ .

(١٤٠) الطبرى - التاريخ ٣/١٥٠٠ ، ابن الاثير - الكامل ٧/٤١ ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٢/٣٢٦ - ٣٢٧ .

(١٤١) ابن الاثير - الكامل ٧/٦٥ ، ابن خلكان - وفيات الاعيان٥/٤٤٥

(١٤٢) وكان من جملتها ثورة الحسن بن زيد فى طبرستان سنة ٢٥٠ هـ . وخروج الرى بظهور أحمد بن عيسى ، وادريس بن موسى سنة ٢٥١ هـ . وكذلك قيام التمرد فى ولاية قزوين بثورة الحسن بن أحمد الكوكبى سنة ٢٥١ هـ . انظر فى ذلك :الطبرى - التاريخ ٣/١٥٢٤ ، ١٥٣٢ ، ١٦٤٣ ، الاشعرى - مقالات الاسلاميين ص ٨٣ - ٨٤ ، المسعودى - مروج الذهب ٤/١٥٤، أبن اسفنديار تاريخ طبرستان ١/٢٣٤ ، مرعشى - طبرستان ص ١٩٧ ، ٢٠٧ . وأنظر -
E.I.S.V. Al- Hasan B, Zaiol ;Vol, II, p, 277 By Fr.Buhl

جيشه وتوزيع قوته على مناطق متعددة من المناطق لضبطها، الامر الذي ادى الى اضعاف موقفه في خراسان وكما ان الظروف السياسية التي كانت تمر بها الخلافة وقتذاك مرتبكة اثر الصراع بين الخليفة المستعين والاتراك والحرب الاهلية التي نشبت مع المعتز سنة٢٥٠هـ(١٤٣) لم يمكنها من القيام بعمل ايجابي مع ولاة خراسان. وقد ادرك يعقوب حراجة المرحلة هذه، كما ان استقرار الحالة في سجستان قد ساعدته على تكوين قوة كبيرة لاستخدامها في تحقيق اغراضه(١٤٤). اضف الى ذلك ان الصفاريين قد طبقوا مبادىء العدل والمساواة بين اتباعهم . فأدى ذلك الى تأييد الطبقات الفقيرة في سجستان لهم. كما ارضى كبرياء السجستانيين القومي كون الزعيم من بينهم(١٤٥). وهكذا زحف يعقوب الى «الرضج والطبيسين وزابلستان والسند ومكران»(١٤٦)

---

(١٤٣) الطبري – التاريخ ٣/١٥٣٢ ، ١٦٢٩ ، مسكويه – تجارب الامم ٦/٥٧٤

(١٤٤) حمزة الاصفهاني – تاريخ سني ص ١٦٩ ، ابن الاثير – الكامل ٧/٢٢ ، ٦٥ .

(١٤٥) الدوري – دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١١٨ .

(١٤٦) «الرخج» بتشديد ثانيه وأخره جيم ، تعريب رخو . كورة ومدينة من نواحي كابل . انظر : ياقوت البلدان ٢/٧٧ .
(الطبيسين) بفتح أوله وثانيه وهي تثنية طبس وهي عجمية فارسية وهما بلدتان كل واحدة منهما يقال لها طبس. قصية ناحية بين نيسابور واصبهان وكرمان. انظر : ياقوت – البلدان ٣/٥١٣ (زابلستان) كورة واسعة قائمة براسها جنوبي بلخ و طخارستان قصبتها غزنة . انظر : ياقوت – البلدان ٢/٩٠٤
(السند بكسر اوله وسكون ثانيه واخره دال مهملة . بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان وقصبة السند مدينة يقال لها المنصورة . انظر – ياقوت – البلدان ٣/١٦٦
(مكران) ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى وهي معدن الفانيذ وهذه الولاية بين كرمان من غربيها وسجستان والبحر جنوبها والهند في شرقيها . انظر : ياقوت – البلدان ٤/٦١٢ .

حتى خضعت له جميع هذه الاقاليم[١٤٧]. ثم سار الى هراة وبوشنج[١٤٨] موطن العائلة ألطاهرية فاحتلها سنة ٢٥٣هـ[١٤٩] كما ظفر بجماعة من الطاهريين وحملهم الى سجستان[١٥٠] فاثار بذلك هواجس محمد بن طاهر السياسية فسير جيشا الى بوشنج لرد اعتباره الاداري، لكن يعقوب شتت هذا الجيش ودخل المدينة ظافرا[١٥١]. «وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل، ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري، فحرضه اهل سجستان على قتالهم وأعلموه انهم اضر من الشراة الخوارج، فقتل رتبيل ملكهم، وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل» ثم انصرف يعقوب الى سجستان[١٥٢].

ان توسعات يعقوب العسكرية وسيطرته على العديد من الولايات قد اثر في نفوس الكثير من الولاة، واخذوا ينظرون اليه بعين الشك والريبة حتى قال ابو الفداء بأنه قد «عظم امره وهابه امير خراسان وغيره[١٥٣]» ويعتقد ابن خلدون ان سنة ٢٥٣ هـ التي تجاوز فيها

---

(١٤٧) كرديزي -زين الاخبار ص ٦-٧ ،ابن خلكان - وفيات الاعيان ٥/٤٤٦ .

(١٤٨) وكان عامله عليها هو محمد بن اوس الانباري . انظر :ابن خلكان - وفيات الاعيان ٥/٤٤٦

(بوشنج) بفتح الشين وسكون النون وجيم . بليدة نزهة خصيبة من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ . انظر : ياقوت- البلدان ١/٧٥٩ .

(١٤٩) ابن الاثير - الكامل ٧/٦٥ ، ابن خلكان -وفيات الاعيان ٥/٤٤٦

(١٥٠) ابن خلكان - وفيات الاعيان ٥/٤٤٦ .

(١٥١) تاريخ سيستان ص ٢٠٨ .

(١٥٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ٥/٤٤٥ .

(١٥٣) المختصر في اخبار البشر م١ ج٣ / ٥٧ .

نفوذ يعقوب حدود سجستان سجلت «ابتداء دولته»[١٥٤] .

وعندما وصلت اخبار يعقوب هذه الى الخليفة المعتز بعث برسالة اليه يطلب منه اطلاق سراح الطاهريين المحتجزين لديه. فاطلقهم يعقوب الى محمد بن طاهر[١٥٥]. وربما اتخذها يعقوب وسيلة لارضاء الطاهريين، وتاكيدا لولائه للخلافة. وهكذا ترك والى خراسان بين قوتين كبيرتين لا طاقة له على اخضاعها، يعقوب بن الليث في سجستان ، والحسن بن زيد العلوى في طبرستان . كما كانت الخلافة في ظرف سياسي لا يسمح لها بالتدخل في شؤون المشرق[١٥٦] وتاكيدا لذلك نرى الخليفة المعتز يولى يعقوب ولاية كرمان ، بنفس الوقت الذى اعطاها الى والى فارسي حينما سأله ضمها اليه بسبب عجز الطاهريةوضعفها. وكان غرض المعتز من هذا الاجراء تحطيم احدى القوتين ليتمكن من القضاء على الاخرى ، لان الاثنين لم تكن للخلافة عليهما طاعة[١٥٧]. وهذا يشير الى ضعف الخليفة انذاك وعدم تمكنه من السيطرة على ولاياته. وعلى فطنة المعتز في اتباع سياسة التفرقة، اذ ادرك ان لاقبل لمحمد بن طاهر من الوقوف بوجه يعقوب .

تقدم يعقوب من سجستان الى كرمان فاحتلها سنة ٢٥٥ هـ [١٥٨] ثم زحف الى فارس حيث هزم جيش عاملها على بن الحسين بن شبل واسره . ثم عاد الى سجستان وارسل من هناك الهدايا للمعتز وبرفقتها

---

(١٥٤) التاريخ ٣ / ٦٣٦ .
(١٥٥) ابن خلكان - وفيات الاعيان ٤٤٦/٥ .
(١٥٦) اليعقوبى - التاريخ ٦١٢/٢ - ٦١٣ ، الطبرى - التاريخ ٧٠٩/٣
المسعودى - مروج الذهب ١٦٢/٤ .
(١٥٧) الطبرى - التاريخ ١٧٠٠/٣ ، ابن الاثير - الكامل ٦٧/٧ ، ابن كثير - البداية ١٥/١١
(١٥٨) الطبرى - التاريخ ١٧٠٥/٣-١٧٠٦ ، ابن الاثير - الكامل ٦٨/٧٠ ابن خلكان - وفيات الاعيان ٤٥١/٥-٤٥٢ ، تاريخ سيستان ص٢١٣

كتب الطاعة والولاء للخلافة (١٥٩) . وقد جعلت هذه الانتصارات يعقوب بن الليث قوة بارزة تستطيع ان تلعب دورا حاسما فى احداث خراسان والظاهر انه قد استغل ضعف والى خراسان ، وانشغال الخلافة بحرب الزنج جنوب العراق (١٦٠) لبسط نفوذه خارج منطقته ، فلما دخل يعقوب ولاية فارس عام ٢٥٧ هـ للمرة الثانية (١٦١) عمدت الخلافة الى ترضيته ، فعهدت اليه بولاية سجستان و « بلخ» و «طخارستان» والسند التى كانت تابعة لوالى خراسان (١٦٢) .فسار يعقوب الى بلخ وطخارستان ثم أحتل «كابل» (١٦٣) حيث ارسل منها الهدايا للمعتمد ، ثم سار الى يست فاقام بها الى سنة ٢٥٨ هـ وبعدها عاد الى «زرنج» (١٦٤)

---

(١٥٩) ن . م .

(١٦٠) الطبرى ــ التاريخ ٣/١٨٤٣ ومأبعدها ، ابن الاثير ــ الكامل ٧/٨٧ القلقشندى ــ ماثر الانافة ١/٢٥٩ ، ميرخوند ــ روضة الصفا٣/٤٩٤

(١٦١) الطبرى ــ التاريخ ٣/١٨٤١ ، ابن الاثير ــ الكامل ٧/٨٨

(١٦٢) ن . م . وانظر : تاريخ سيستان ص ٢١٦ .

(بلخ) مدينة مشهورة بخراسأن من اجمل مدن خراسان واذكرها واكثرها خيرا واوسعها غلة بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا ويقال لجيحون نهر بلخ بينهما نحو عشرة فراسخ افتتحها الاحنف بن قيس . انظر : ياقوت ــ البلدان ١/٧١٣ .

(طخارستان) بالفتح وبعد الالف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق ويقال طخيرستان وهى ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهى من نواحى خراسان وهى طخارستان العليا والسفلى تقع شرقى بلخ وغربى جيحون . انظر : ياقوت ــ البلدان ٣/٥١٨

(١٦٣) «كابل» بضم الباء الموحدة ولابل وهى اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى اوهند وهى ولاية ذات مروج . قال ابن الفقيه «كابل» من ثغور طخارستان ولها مدن . انظر : ياقوت ــ البلدان ٤/٢٢٠

(١٦٤) ابن الاثير ــ الكامل ٧/٨٨ «زرنج» بفتح اوله وثانيه ونون ساكنة وجيم . مدينه هى قصبه سجستان وسجستان اسم الكورة كلها انظر : ياقوت ــ البلدان ٢/٩٢٦

ان تحركات يعقوب العسكرية وسيطرته على جميع هذه الاقاليم والمدن كانت تشكل تحديا سافرا لنظم الادارة وقوانينها ، كما كانت تعني صورة حية لقوة الولاة او نوابهم حينما تضعف سيطرة السلطة المركزية . وهكذا تسلط يعقوب على هراة وبوشنج والقى القبض على الحسين بن طاهر اخي محمد والي خراسان على بوشنج (١٦٥) . وكان هم محمد ان يطلق يعقوب سراح الحسين ولكنه ابى فك آسره. (١٦٦)

ان الظروف السياسية التي ساعدت على ظهور يعقوب كقوة بارزة في خراسان ربما كان لها اثرها في دفعه للسيطرة على الحكم واقامه امارة صفارية تحل محل الامارة الطاهرية . فكان ذلك مدعاة لاصطدامه بالطاهريين . وهكذا تقدم يعقوب الى بلخ ، ثم عاد الى «قوهستان»(١٦٧) فأقام بها وارسل عماله الى هراة وبوشنج و«باذ غيس» سنة ٢٥٩ هـ(١٦٨) ثم رجع الى سجستان حيث وجد عبد الله بن محمد السجزي احد قواده ومن جملة من خالفه واخذ ينازعه الرياسة في سجستان (١٦٩) .فلما

---

(١٦٥) كرديزي – زين الاخبار ص ٧ ، ابن الاثير– الكامل ٨٨/٧.

(١٦٦) ابن الاثير – الكامل ٨٨/٧ ، ابن خلدون – التأريخ ٦٥٢/٣

(١٦٧) «قوهستان» بضم اوله ثم السكون ثم كسر الهاء وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وأخره نون وهي تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال . وهي الجبال التي بين هراة . ونيسابور . أنظر: ياقوت – البلدان ٤/ ٢٠٥

(١٦٨) الطبري – التاريخ ١٨٧٥/٣ ، ابن الاثير – الكامل ٩٤/٧ . «باذغيس» بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنة وسين مهمله . ناحية تشتمل على قرى من اعمال هراة ومروالروذ . قصبتها (بون وبامئين) ذات خير ورخص ، كانت دار مملكة الهياطلة . انظر : ياقوت – البلدان ١ / ٤٦١

(١٦٩) الطبري – التاريخ ١٨٧٥/٣ ، تاريخ سيستان ص ٢١٩

دخل يعقوب الولاية هرب عبد الله الى خراسان فولاه محمد الطبيسين و فوهستان (١٧٠) • فى محاولة لخلق قوة تسنده فى الوقوف بوجه يعقوب ويتضح ان هذا الاجراء قد اثار حفيظة يعقوب فصمم على تصفية حكم الطاهرية في خراسان فتوجه الى نيسابور (١٧١) فلما قرب منها طلب منه محمد مقابلته ، فرفض يعقوب ذلك • فاضطر محمد ان يبعث اليه بعمومته وا هل بيتة فتلقوه ودخل يعقوب نيسابور سنة ٢٥٩ هـ وقبض على محمد وحبسه واهل بيته ، ثم استعمل عليها واليا من قبله • (١٧٢)

ومهما تكن الاسباب والدوافع التى ادت الى سقوط الامارة الطاهرية فى خراسان (١٧٣) • الا ان ثمة واقعا جديدا فرض نفسه على احداث المشرق الاسلامى • حيث دون التاريخ نشوء الامارة الصفارية فىخراسان سنة ٢٥٩ هـ على يد يعقوب الصفار •

ومن الجدير بالذكر ان المشاكل الداخلية التى مرت بها حراسان

---

(١٧٠) الطبرى ـ التاريخ ١٨٧٥/٣ ، ابن الاثير ـ الكامل ٩٤/٧

(١٧١) «نيسابور» بفتح اوله والعامة يسمونه نشاوور • مركز ولاية خراسان مدينة عظيمة ومن اسماء نيساأبور ابرشهر وبعضهم يقول أيرانشهر • ومن الرى الى نيسأبور ماية وستون فرسخاً • انظر : ياقوت ـ البلدان ٨٥٧/٤ •

(١٧٢) الطبرى ـ التاريخ ١٨٨١/٣ ، حمزة الاصفهانى ـ تأريخ سنى ص ١٧٠ ، كرديزى ـ زين الاخبار ص ٧ـ٨ ، ابن الاثير ـ الكامل ٩٣/٧ ، المستوفى القزوينى ـ تأريخ كزيدة ص ٣٧١ •

(١٧٣) هناك روايات عديدة جاءت لتبرير الدوافع التى أودت بيعقوب الى أحتلال نيسابور وسقوط الامارة الطاهرية يمكن مراجعتها بشكل مفصل فى كتب التأريخ أمثال : الطبرى ـ التاريخ ١٨٨١/٣ ١٨٨٣ ، كرديزى ـ زين الاخبار ص ٨ ، البيهقى ـ تاريخ بيهق ص ٢٤٨ •

وبغداد لايمكن اغفالها في تهيئة المجال المناسب للسيطرة على دفة السلطة في خراسان . فالثورات العلوية التي نشبت في طبرستان و«الري» وقزوين (١٧٤) قد استنزفت بلاشك القوى العسكرية والمادية لمحمد بن طاهـــــر حتى زادت في ضعفه وبالتالي انهياره . ثم ان الخلافة لم تكن مهيأة لتقديم العون الجدي لحكام خراسان . فسيطرة الاتراك على الخلافة ، والنزاع بين الخلفاء على السلطة ، والحرب الاهلية التي نشبت بين المستعين والمعتز سنة ٢٥١ هـ ، وثورات الزنج في جنوب العراق . قد صرفت الخلافة ردحا من الزمن عن مساندة اعوانهم في المشرق (١٧٥) . بنفس الوقت يمكن اعتبارها عوامل فسحت الطريق امام يعقوب للوصول الى دفة الحكم هذا بالاضافة الى المسؤولية الادارية التي يتحمل تبعاتها كل من العباسيين و الطاهريين التي مكنت يعقوب من ان يكون نفوذا سياسيا من الصعوبة ازاحته والقضاء عليه .

أن هذا الموقف الذي وقفه يعقوب الصفار من الدولة الطاهرية ومن الخلافة العباسية يعتبر تحديا لسلطان الخلافة وحرمانا لها من نصير موال يعتمد

---

(١٧٤) انظر هامش [١٤٢] .
(الري) بفتح اوله وتشديد ثانيه وهي مدينة مشهورة من امهات البلاد واعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخ . انظر : ياقوت – البلدان ٢/٨٩٢

(١٧٥) انظر في ذلك الطبري – التاريخ ٣/١٥٤٢ ، ١٧٠٩ ، ١٨٤٧ ، المسعودي – مروج الذهب ٤/١٦٢ ، المقدسي – البدء والتاريخ ٦/١٢٣ ، مسكويه – تجارب الامم ٦/٥٧٦ .

عليه ، وان كان يعقوب نفسه قد وعد الخلافة بالتايد والطـاعة (١٧٦)

ونلاحظ كذلك ان حركة التوسع الاخيرة التى قام بها يعقوب وانتهت بضم خراسان الى ممتلكاته وبعزل الطاهريين ، قد تمت فى عهد المعتمـد على الله الذى استجاب لثورة الجند الاتراك ضد زعمائهم وحقق رغبتـهم فى ان يتولى قيادة جيوش الخلافة امير من البيت العباسى ، وعين الموفق ابا احمد طلحة اخاه فى هذا المنصب • فكانت هذه الخطوة ايذانـا بأنتعاش الخلافة ويقظتها وتهديدا للخارجين والثائرين على سلطانها ، وأن حاولوا أن يلبسوا ثورتهم ثوب الطاعة والخضوع كما فعل يعقوب (١٧٧)

وهكذا يتضح ان التطورات التى حدثت من يعقوب الصفار لـم تؤد الى ارضاء الخلافة التى كانت مصرة فى عهد المعتمد بجهود الموفق على ان تشعر ولاة الاقاليم بانهم انما يخضعون لها خضوعا مباشرا فى كل تصرفاتهم الرئيسة التى يجب ان تكون بتوجيهها • ولهذا لم تلق مطالب يعقوب بشان خراسان والطاهريين قبولا من الموفق الذى رد رسل يعقوب (١٧٨) وحملهم اليه خطابا جاء فيه (١٧٩) (ان امير المؤمنين لا يسـقار يعقوب على مافعل • وانه يأمره بالانصراف الى العمل الذى ولاه ايـاه وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير امره • فليرجع فانه ان فعـل كـان من الاولياء والا لم يكن له الا ماللمخالفين) (١٨٠) •

ويبدو ان يعقوب بن الليث لم يهتم بالامر ، بل استمر بمشاريعه

---

(١٧٦) الطبرى ـ التاريخ ٣/١٨٨١ ، وأنظر : أحمد ـ الخلافة والدولة ص ١٢٠

(١٧٧) أحمد ـ الخلافة والدولة ص ١٢٠

(١٧٨) وكان مع الوفود رأسا على قناة فيه رقعة فيها هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجى بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثون سنة قتله يعقوب بن الليث) أنظر : الطبرى ـ التاريخ ٣/١٨٨٢

(١٧٩) احمد ـ الخلافة والدولة ص ١٢١ •

(١٨٠) الطبرى ـ التاريخ ٣/١٨٨٢ ، ابن الاثير ـ الكامل ٧/٩٣ •

التوسعية لانه كان مؤمنا ان السيف هو وسيلته والوحيدة لاقامة حكمه . وتعى الرواية تلك المحاورة التى ساقها لنا كرديزى والتى جرت بين يعقوب الصفار ومحمد بن طاهر قبل فتح نيسابور . اذ كتب محمد اليه (اذا جئت بعهد من الخليفة بولاية خراسان وأظهرته لنا ، ساترك لك الولاية والا فأرجع من حيث اتيت) فكان جواب يعقوب ان انتضى سيفه من تحت سجادته وقال (هذا عهدى وهذا لوائى) (١٨١) .

وقد يكون على حساب المقارنة والموازنة بين يعقوب وخصومه من الولاة والحكام انه كان اكثر امكانية واشد قوة منهم . ومن المعقول أيضا ان يعقوب كان لايحتمل أن تكون الى جانبه قوة تهدده وتعرض مركزه للخطر . واستنادا الى هذه الفكرة نراه يتجه صوب طبرستان سنة ٢٦٠ هـ لمواقعه الحسن بن زيد العلوى متخذا عبد الله السجزى الذى هرب من نيسابور بعد احتلالها مبررا للاصطدام . (١٨٢) .وقد رفض الحسن تسليم عبد الله ليعقوب ، فكان ذلك سببا فى انتصار يعقوب عليه وهزيمه الحسن الى ارض (الديلم) (١٨٣) . وقد حاول

---

(١٨١) زين الاخبار ص ٨ .وانظر :تاريخ سيستان ص ٢٢٢-٢٢٣

(١٨٢) الطبرى - التاريخ ٣/١٨٨٣ ،ابن الاثير -الكامل ٧/٩٥

(١٨٣) ن.م. ويشير الطبرى أنه فى اثناء مسيرته الى طبرستان [مر بمدينة اسفرائيم ونواحيها ،وبها رجل يقال له بديل الكشى يظهر التطوع والامر بالمعروف ،قد استجاب له عامة أهل تلك الناحية فأخذه يعقوب سجيناً معه] انظر التاريخ ٣/١٨٨٤ . (الديلم) جيل سموا بأرضهم ويعتقد أنها جيلان بالكسر .اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان .انظر يأقوت البلدان ٢/١٧٩ ، ٧١٢ .

يعقوب تصفية الحكم العلوي في طبرستان بعد دخوله مدينة (سارية)(184) الا ان الاحوال الجوية السيئة ، وطبيعة المنطقة الجغرافيه حالت دون تحقيق برنامجه (185). فعكف يعقوب منصرفا عن طبرستان مرورا بولاية الري في اثر طريدته عبد الله السجزي الذي استجار بواليها بعد هزيمة الحسن . وقد حاول والي الري ترضيه يعقوب متحاشيا بذلك الحرب والهزيمة ، فسلم غنيمته فقتله يعقوب وعاد الى سجستان (186) .

ويشير الطبري الى ان يعقوب كتب كتابا الى الخليفة يذكر فيه مسيرته الى الحسن بن زيد وانتصاره عليه (187) . ولكن الخلافة أستمرت في تأييدها للطاهريين نظرا للخدمات الكبيرة ألتي قدمتها هذه العائلة للعباسيين طيلة نصف قرن ، وهم الذين وقفوا مع الخلافة بصلابة في اشد مواقفها السياسية التي كاد ان يصيبها التدهور والاضمحلال . وكان بقاء نفوذ الطاهريين في خراسان وبغداد في صالح الخلافة لانهم كتلة مخلصة تستطيع الوقوف بوجه الاتراك وتحول دون تسلط العناصر المعادية لها . وعليه نرى المعتمد يقف بجانب الطاهرية في محاولة لاعادة نفوذهم الى خراسان . لذلك اعلن الخليفة سنة ٢٦١ هـ بجمع من حاجي خراسان والري وطبرستان وجرجان منشوره الذي يعلمهم فيه (ان السلطان لم يول يعقوب بن الليث خراسان ويأمرهم بالبراءة منه لانكاره

---

(١٨٤) [سارية] مدينة بطبرستان .قال البلاذري كور طبرستان ثمان كور سارية وبها منزل العامل في أيام الطاهرية وكان العامل قبل ذلك في أمل .وبين سارية والبحر ثلاثة فراسخ وبين سارية وامل ثمانية عشر فرسخا .انظر ياقوت البلدان ٣/ ١٠

(١٨٥) الطبري - التأريخ ٣/ ١٨٨٤ - ٥ ١٨٨ ، ابن الاثير - الكامل ٧/ ٩٥ ابن خلكان - وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٤ . لك

(١٨٦) الطبري- التاريخ ٣/ ١٨٨٥ ، ابن الاثير - الكامل ٧/ ٩٥

(١٨٧) ن.م.

دخول خراسان وأسره محمد بن طاهر» • (١٨٨) وهذه الخطوة كانت قادرة على تفريق كلمة الجيش الصفارى وثورته على يعقوب فى الظروف العادية ، لما للخلافة من سلطة روحية على الشعب يخشى الثائرون والخارجون اثارها على حركاتهم • ولكن يعقوب كان قوى الشخصية عظيم السيطرة على أتباعه ، فلم تزده هذه الخطوة الا عزما وتصميما على الاحتفاظ بما بذل فيه من فتوح وانتصارات (١٨٩) • وهكذا سار يعقوب الى فارس سنة ٢٦١ هـ وطرد منها والى الخلافة (١٩٠) •فأحتاز الولاية الى ممتلكاته (١٩١) • ثم سار بعد ذلك الى «رامهرمز» ١٩٢فأحتلها سنة ٢٦٢ هـ (١٩٣) • وأزاء هذا النشاط التوسعى الكبير ليعقوب وحوزته الولايات الواحدة تلو الاخرى اعادت الخلافة تقدير الموقف ، فدعا الموفق بأمر من المعتمد تجار الولايات الشرقية وتلا عليهم منشورا يعلن فيه ولاية يعقوب على خراسان وطبرستان وجرجان والرى وفارس وشرطة بغداد(١٩٤) وبهذا حققت جميع مطاليبه التى كان يسعى اليها • وعند هذه المرحلة دخلت العلاقة بين الخلافة والامارة الصفارية طورا جديدا • ذلك أن

(١٨٨) الطبرى- التاريخ ٣/٨٧ ١٨ ، ابن الاثير - الكامل ٧/١٠٢
(١٨٩) احمد - الخلافة والدولة ص ١٢١ •
(١٩٠) [وقيل أن ماأخذه يعقوب من محمد بن واصل والى فارس ٤٠ ألف الف درهم] انظر : ابن الاثير -الكامل ٧/٩٨ •
(١٩١) الطبرى - التاريخ ٣/١٨٨٩ •
(١٩٢) [رامهرمز] ومعنى رام بالفارسية المراد والمقصود وهرمز احد الاكاسرة •وهى مدينة مشهورة بنواحى خوزستان •ورامهرمز من بين مدن خوزستان تجتمع النخل والجوز والاترنج • انظر: ياقوت البلدان ٢/٧٣٨ •
(١٩٣) الطبرى - التاريخ ٣/١٨٩١ ، ابن الاثير - الكامل ٧/١٠٣
(١٩٤) الطبرى - التاريخ ٣/١٨٩٢ ، ابن الاثير - الكامل ٧/١٠٣ ، ابن خلكان- وفيات الاعيان ٥/٤٥٥ ، الذهبى- العبر ٢/٤٢

يعقوب غره ماوصل اليه من اتساع في الملك ومن استقرار شامل في المناطق التي خضعت له • كما اعتز بالطاعة العمياء من قبل جنوده الذي قادهم من نصر الى نصر • وإظن في الخلافة ضعفا عندما أستجابت لرغباته التي املاها عليها ، فأضطرت الى قبولها بسبب ماظهر لها من قوته وشدة عزيمته ونجاحه المتواصل • ذلك النجاح الذي يرجع الى مساعدة الظروف التي مرت بـ ا الخلافة في الاطراف المختلفة عندما كانت تحاول أستعادة سلطانها وتشديد قبضتها على ممتلكاتها بعد أن تفككت بسبب سيطرة الاتراك المتنازعين على شؤونها سيطرة فاسلة • نقول غر يعقوب ماوصل اليه من نجاح هذا شأنه وهذه ظروفه (١٩٥) فكتب الى الخلافة يخبرها بكل جرأة بأنه سوف يقرر رغبته في بغداد نفسها (١٩٦) حمل هذا الموقت الاخير ليعقوب الخليفة المعتمد على الخروج باشارة اخيه الموفق مدبر شؤونه لمقابلة يعقوب في معركة حاسمة • وعزم الخليفة بهذا الخروج على استخدام سلطانه الروحي بالاضافة الى القوة المادية في محاولة هزيمة يعقوب وكبح جماحه • وكان لقاء الجيشين عند دير العاقول(١٩٧)

---

(١٩٥) احمد ـ الخلافة والدولة ص ١٢٢ •

(١٩٦) الطبري ـ التأريخ ٣/١٨٩٢ ، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧ نظام الملك ـ سياسة نامة ص ١٣ ، الذهبي ـ دول الاسلام ١١٥/١

(١٩٧) ذكرت المصادر ان العسكران التقيا يوم الاحد لليال خلون من رجب الموافق يوم عيد الشعانين بموضع يقال له أضطربد بين سبب بني كوما ودير الطاقول •وقد اصيب من بيت مال يعقوب اربعة الاف الف دينار •ومن الورق خمسون ألف الف درهم انظر : الطبري ـ التاريخ ١٨٩١/٣ ،ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٤٦١/٥ •

سنة ٢٦٢ هـ فخرج يعقوب من المعركة يجر اذيال الهزيمة (١٩٨) ومهما تكن الاسباب والدوافع التي ادت الى انتصار جيش الخلافة في هذه المعركة (١٩٩) الا أن ثمة حقيقة جديرة بالذكر هي ان الصفار غره تساهل الخلافة من ناحية وثقته في ولاء جنده له من ناحية آخرى ،ففاته التوفيق في الناحيتين . ذلك انه لم يدرك تغير الاحوال في مركز الخلافة التي كانت قد بدأت تسترد فعاليتها بتوليه الموفق على قيادة الجيش وسيطرته عليه وضبطه لجنوده ، كما لم يدرك مرامي سياسة الموفق ،ولم يكن الصفار سياسيا بعيد النظر حين . غاضب الخلافة . كذلك كان الصفار قصير النظر حين افرط في ثقته بجنده . حقيقة كان الصفار محسنا الى رجاله مواسيا لهم ضابطا لامورهم حتى احبوه واولوه اخلاصهم . ولكنهم في الوقت نفسه كانوا من المتطوعين الذين تجمعوا لنصرة الخلافة ، وأنما انضموا تحت لواء الصفار غضبا للخلافة لاغضبا عليها فكان ولاء أكثرهم للخلافة أكثر من ولائهم للصفار (٢٠٠) . فلما رأوا الصفار يقاتل جيشا على رأسه الخليفة نفسه تخاذلوا عن الصفار ، بل هاجموه في صفوف الخليفة (٢٠١) .

ان معركة دير العاقول قد حدث من نشاط يعقوب وتوسعه ، ولكنها لم تمس سلطانه في جنوب ايران (٢٠٢) .

---

(١٩٨) الطبري ـ التاريخ ٣/١٨٩٣ ، المسعودي ـ مروج الذهب ٤/٢٠٠ حمزة الاصفهاني ـ تاريخ سني ص ١٧٠ ، الشابشتي ـ الديارات ص ٨٤ ، ابن الجوزي ـ المنتظم ٥/٣٣ . وانظر
E.I.S.V. Sffarids. Vol. IV. P, 55 By: T. W. Haig
Noldeke: sketches . pp. 190-191

(١٩٩) لقد اهتمت المصادر كثيرا بهذه المعركة ودونت اخبارها بشكل مفصل مما لامجال لذكرها هنا .

(٢٠٠) شريف ـ العالم الاسلامي ص ٤٦٢ .

(٢٠١) الطبري ـ التاريخ ٣/١٨٩٤ ، ابن الاثير ـ الكامل ٧/١٠٣

(٢٠٢) الطبري ـ التاريخ ٣/١٩١٢ ، المسعودي ـ التنبيه ص ٣١٩.

لقد حاولت الخلافة جاهدة تصفية الحكم الصفاري والقضاء عليه بصورة كلية فأصدر المعتمد مرسوما بتعيين محمد بن طاهر ـ الذى اطلق سراحه فى معركة دير العاقول ـ مجددا على ولاية خراسان (٢٠٣) الا ان هذه الولاية كانت شكلية ، حيث لم يترك محمد بغداد الى أن مات فيها (٢٠٤)

ومن الجدير بالذكر ان الخلافة قد أقامت لها حكما مواليا فى المشرق وراء خراسان بان جعلت من بلاد ماوراء النهر التى كانت خاضعة لولاة خراسان اقليما قائما بنفسه • فقد اسقط الموفق اسم يعقوب من ولاية خراسان سنة ٢٦٠ هـ عندما بعث بمنشوره الى الامير نصر بن احمد السامانى بولاية جميع اعمال ماوراء النهر من جيحون الى اقصى بلاد المشرق (٢٠٥) • فى محاولته لضرب النفوذ الصفارى ووقف تقدمه ، الا ان المحاولة باءت بالفشل ، كما اعقبها ايضا فشل مساعى الطاهرية بمساندة الخلافة فى استعادة مركزها عندما ارسلت الى خراسان الحسن بن طاهر واليا عليها نيابة عن اخيه محمد (٢٠٦) حيث لم يتمكن الحسن من السيطرة على خراسان التى اصبحت انذاك غنيمة تتقاسمها الاهواء والمطامع ، وظهرت فيها قوى مختلفة كانت تتنافس فى السيطرة عليها • (٢٠٧)

---

(٢٠٣) الطبرى ـ التاريخ ١٨٩٦/٣ ، المسعودى ـ مروج الذهب ٢٠١/٤ الشابشتى ـ الديارات ص ٨٤ ، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٤/٧

(٢٠٤) حمزة الاصفهانى ـ تاريخ سنى ص ١٧٠ ، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧

(٢٠٥) النرشخى ـ تاريخ نجارى ص ١١٠ ، وانظر : شريف ـ العالم الاسلامى ص ٤٦١ •

(٢٠٦) الطبرى ـ التاريخ ١٨٩١/٣ •

(٢٠٧) أنظر : الطبرى ـ التاريخ ١٩١٥/٣ ، ١٩٣١ ، حمزة الاصفهانى

ومن جهة ثانية نرى ان المعتمد فى محاولة اخرى يرد الاعتبارات السياسية والادارية لمحمد بن واصل بتعينه ثانية على ولاية فارس سنه ٢٦٢ هـ (٢٠٨) • وذلك لتكوين قوة مناهضة ليعقوب ومجاورة له للحيلولة دون رجوعه الى بغداد • الا ان يعقوب غلب على فارس فى تلك السنة فهرب ابن واصل امامه (٢٠٩) فبعث الصفار احد قواده المسمى عزيز بن السرى فى اثره حتى تمكن من اسره (٢١٠) وفى تلك الاثناء راسله العلوى البصرى ـ صاحب الزنج ـ يحثه على الرجوع الى بغداد ويعده المساعدة ، فبعث يعقوب اليه رسالة يقول فيها (قل ياايها الكافرون ، لاعبد ماتعبدون) (٢١١) • وهكذا وضع يعقوب نفسه فى خضم الصراع مع ثورة الزنج وتصفية نفوذها فى (الاهواز) (٢١٢) فسار سنة ٢٦٣ هـ الى (النوبندجان) (٢١٣) ومنها الى (تستر)

ـ تاريخ سنى ص ١٧٠ ابن الاثير ـ الكامل ١٠٦/٧ ، ١١٠

(٢٠٨) الطبرى ـ التاريخ ١٨٩٥/٣ ، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧

(٢٠٩) الطبرى ـ التاريخ ١٩٠٨/٣ ، ابن الجوزى ـ المنتظم ٣٣/٥

(٢١٠) الطبرى ـ التاريخ ١٩١٢/٣ ، ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧

(٢١١) ابن الاثير ـ الكامل ١٠٣/٧

(٢١٢) [الاهواز] اخره زاء وأصله حوز • اسم عربى سمى به فى الاسلام وكان أسمها فى أيام الفرس خوزستان اسم للكورة باسرها • وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فانما هو سوق الاهواز انظر : ياقوت ـ البلدان ٤١٠/١ •

(٢١٣) [النوبندجان] بالضم ثم السكون وباء موحدة مفتوحة ونون ساكنه ودال مفتوحة وجيم وأخره نون • مدينة من ارض فارس من كورة سابور قريبة من شعب بوان الموصوف بالحسن والنزاهة وبينها وبين ارجان ست وعشرون فرسخا • انظر : ياقوت ـ البلدان ٨١٧/٤ •

(٢١٤) وبعدها الى الاهواز ، حيث شتت قوة صاحب الزنج وكسر جيشه فاجتزأ الولاية لسلطته (٢١٥) • وهكذا استقر يعقوب فى (جند بسابور) فترة من الزمن متخذا اياها مقرا لحكمه لتوكيد سلطته فى جنوب ايران وعلى مشارف الخليج العربى فى عمان (٢١٦) • ولكى يستجمع قـــواه ويلم شعثه فى محاولة لاعادة اعتباره ضد الخلافة (٢١٧) •حتى عـلق ابن خلكان على عدول يعقوب عن ملاقاة الخلافة بعد هزيمة معها فى دير العاقول (لانـــه لم يجـد عدة تصلح للقاء الخليفة) (٢١٨)

- ٥ -

لم تستمر سلطة يعقوب السياسـية فترة طويلة من الزمن •اذ ان الدولة التى شيدها بحد السيف قد ورثها اخوه عمرو بن الليث سنة

---

(٢١٤) [تستر] بالضم ثم السكون وفتح التاء الاخرى وراء • أعظم مدينة بخوزستان اليوم وهو تعريب شوشتر •على مكـــان مرتفع من الارض وتفرد بعض الناس بجعل تستر مع الاهواز وبعضهـــم يجعلها مع البصرة • انظر : ياقوت البلدان ١/٨٤٧ •

(٢١٥) الطبرى - التاريخ ٣/١٩١٢ ،ابن الاثير - الكامل ٧/١٠٩•

(٢١٦) الطبرى - التاريخ ٣/١٩١٤ ، المسعودى - التنبيه ص ٣١٩ [جند يسابور] بضم اوله وتسكين ثانيه وفتـــح الدال ويـاء ساكنة وسين مهمله والف وباء موحدة مضمومه وواو ساكنه وراء مدينة بخوزستان بناها سابور بن اردشير فنسبت اليـه وأسكنها سبى الروم و طايفه من جنده وهى مدينة خصبه وأسعه بها النخل والزروع والمياه انظر : ياقوت - البلدان ٢/١٣٠

(٢١٧) ابن الاثير - الكامل ٧/١١٦ ابو الفداء - المختصر ١ ج٣/٦٦

(٢١٨) وفيات الاعيان ٥/٤٥٤

٢٦٥ هـ (٢١٩) • ففي شهر شوال من تلك السنة (٢٢٠) دون التاريخ وفاة يعقوب بن الليث في جند نيسابور من كورة الاهواز (٢٢١) وتشير رواية اخرى الى ان وفاته كانت بالاهواز ثم نقل جثمانه الى جند نيسابور (٢٢٢) • ولم تكن وفاته نتيجة طبيعية ،فقد أصيب بعلة القولنج (٢٢٣) وقد أشار عليه طبيبه بالدواء ولكنه رفض العلاج مفضلا الموت عليه • (٢٢٤) ويذكر أبن خلكان ان مدة مرضه كانت ستة عشريوما٢٢٥

وهكذا اختفت هذه القوة الحديدية التي ملاءت المشرق الاسلامي بضجيج حوادثها مايقرب من اربع عشرة سنة (٢٢٦) تاركا وراءه اموالا طائلة قدرت بخمسين الف الف درهم ومن الذهب بألف الف دينار •(٢٢٧)

---

(٢١٩) الطبري ـ التاريخ ١٩٣١/٣ ، الشابشتي ـ الديارات ص ٨٤ ، كرديزي ـ زين الاخبار ص ٩ •

(٢٢٠) ذكر أبن خلكان وفاته يوم الثلاثاء في الرابع عشر من شوال• أنظر : وفيات الاعيان ٤٦٢/٥ ويشير أبو الفداء وفاته في التاسع من شوال انظر المختصر م١ ج٣/٦٦ ،بينما سكتت بقية المصادر عن ذكر اليوم والشهر الذى توفي فيه يعقوب •

(٢٢١) الاصطخري ـ مسالك الممالك ص ٩٣ ،ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٢٥٦ •ولم يشيروا الى سنة وفاته •المسعودي ـ التنبيه ص ٣١٩ ، ومروج الذهب ٢٠٠/٤ ،حمزة الاصفهاني ـ تاريخ سني ص ١٧١ ، ابن الاثير ـ الكامل ١١٦/٧ •

(٢٢٢) ابن الجوزي ـ المنتظم ٥٦/٥ ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٤٦٣/٥

(٢٢٣) أبن الاثير ـ الكامل ١١٦/٧ ، بن خلكان ـ وفيات الاعيان ٤٦٢/٥ ،ابو الفداء ـ المختصر م١ ج٣/٦٦ ،الذهبي ـ العبر ٣٢/٢ ، ودول الاسلام ١١٧/١ •

(٢٢٤) ن • م •

(٢٢٥) وفيات الاعيان ٤٦٣/٥

(٢٢٦) ن • م •

(٢٢٧) ابن الزبير ـ الذخائر ص ٢٢٥ ، بن الجوزي ـ المنتظم ٥٦/٥ الذهبي ـ العبر ٣٢/٢ ،ودول الاسلام ١١٧/١ ،ابن العماد ـ الشذرات ١٥١/٢ •

وأمر أن يكتب على قبره «هذا قبر يعقوب المسكين» كما كتب بعدها بيتان من الشعر جاء نصهما :

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء مايأتى به القدر
وسالمتك الليالى فأغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر[228]

وعن أبى الوفاء الفارسى قال «رأيت على قبر يعقوب بن الليث

صحيفة وقد كتبوا عليها :

ملكت خراسانا واكناف فارس وماكنت من ملك العراق بأيس
سلام على الدنيا وطيب نسيمها اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس»[229]

ورغم كل التناقضات التى حدثت بين يعقوب والخلافة ، فأن بغداد كانت مهيأة لترضية الصفار والتوصل معه الى عقد اتفاق. غير أنه قبل بلوغ مرحلة التفاهم النهائى ، كانت المنية قد أدركت يعقوب.فالرواة يشيرون الى ان المعتمد قد انفذ اليه رسولاً يترضاه ويقلده اعمال خراسان وفارس وكرمان والرى وقم واصبهان ،كما صيرت أليه الشرطتان ببغداد وسامراء على ان يولى من أحب ، وعلى أن يوجه

---

(228) أبن الجوزى – المنتظم ٥٦/٥ ، ابن خلكان –وفيات الاعيان٤٦٣/٥

(229) ابن خلكان – وفيات الاعيان ٤٦٢/٥

ثلثي مايجبى من خراج البلاد التى يتولاها من جميع الاموال . (٢٣٠)

وتصف الرواية صورة اللقاء بين يعقوب ورسول الخليفة عندما «جلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من خبز الخشكار ومعه بصل ، واحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له : قل للخليفة انى عليل ، فأن مت فقد استرحت منك واسترحت منى ، وأن عوفيت فليس بينى وبينك الا السيف هذا حتى اخذ بثارى او تكسرنى وتفقرنى فاعود الى هذا الخبز والبصل» (٢٣١)

لقد أعتمد يعقوب فى حقوقه السلطانية على السيف وحده غير عابيء بالقوانين والثقافة و لهذا السبب أيضا فقد كان جل اهتمامه منصبا على خلق جيش مخلص له ، والحصول على موارد مالية لايمكن الاستغناء عنها لتنفيذ حروبه ، فأثقل ولاياته بالضرائب ، ولجأ احيانا الى مصادرة اموال بعض الاغنياء ، وكان يقرر الاموال بنفسه ، ولكنه لم يظهر مقدرة

---

(٢٣٠) ن٠م٠ وانظر : ابو الفداء ـ المختصر م١ ج٣/٦٦

Spuler : Iran In Fruh - Islamischer Zeit : P 61

(قم) بالضم وتشديد الميم ، وهى كلمة فارسية ٠مدينه تذكر مع قاشان ٠وهى مدينة مستحدثة أسلاميه لااثر للاعاجم فيها وأول من مصرها طلحة بن الاحوص الاشعرى وذكر بعضهم أن قم بين اصبهان وساوة وهى كبيرة حسنة طيبه ٠ انظر :ياقوت ـ البلدان ٤/١٧٥ ٠

(اصبهان) منهم من يفتح الهمزة وهم الاكثر ٠وكسرها اخرون ومنهم السمعانى وابو عبيد البكرى الاندلسى ٠وهى مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأعيانها ٠ اسم للاقاليم بأسره ٠وكانت مدينتها اولا جيا ثم صارت اليهودية ٠وهى من نواحى الجبل٠ انظر : ياقوت ـ البلدان ١/٢٩٢ ٠

(٢٣١) ابن الاثير ـ الكامل ٧/١١٦ ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ٥/٤٦٣ ابو الفداء ـ المختصر م١ ج٣/٦٦

في الادارة اذ لم يربط ولاياته بنظام موحد (٢٣٢) .

وبما ان الخلفاء العباسيين عجزوا عن توطيد الامن والسلام والعدل والانصاف في سجستان ،لذلك لم يشعر يعقوب بأي تأنيب ضمير أو ندم عندماكان يعمل ضدالخليفة .وبدون شك فأن يعقوب قد امربالصلاة للخليفة ، باعتباره امير المؤمنين ،كما امر بطبع اسم الخليفة على نقود ولاياته ،اما مغزى هذه الاعمال فهو الاعتراف الديني بالخلافة لاغير ومن الممكن ان نقول ايضا ان هذا الاعتراف بسلطة الخلافة الدينية لم يكن نتيجة الاعتقاد بأهمية الخلافة الدينية ،وانما كان نتيجه اطماع سياسية ففي ذلك الوقت كان من الصعوبة بمكان على أي حاكم من حكام الولايات الوقوف ضد الخليفة واصعب بكثير على حاكم اغتصب السلطة وليس بحوزته شيء سوى السيف يعتمد عليه في اخذ حقه.وسبب هذه الصعوبة هو ان الخليفة كان بنظر الناس واعتقادهم الشخص المعصوم عن الخطأ ،وكذلك كان بالنظرية وبالواقع رئيس الامبراطورية الاسلامية (٢٣٣) . لذلك كان الصفاريون يعملون جاهدين للمحافظة على علاقة اسمية بينهم وبين الخليفة لغرض انجاح حكمهم . وبدون هذه العلاقة فانهم يتعرضون لخطر تحويل عطف اتباعهم الذين كانوا مساندیهم الرئيسين في نزاعهم ضد الخليفة . (٢٣٤) ومع ذلك فقد حاول الصفاريون تحديد سلطة الخليفة رغم كونها اسمية . فكان يعقوب اول من ادخل

---

(٢٣٢) الدوري – دراسات في العصور العباسية المتاخرة ص ١١٨ . و نظر

Barthold : Turkestan P. 116

(٢٣٣)

Siddigi : The Caliphate And Saffarids . P . 391

(٢٣٤) وأنظر Adid

الدوري – دراسات في العصور العباسية المتاخرة ص ١١٨

اسمه فى الخطبة مع اسم الخليفة . (٢٣٥)

ومهما كانت نوايا الصفاريين ،فقد قاموا ببعض الاعمال التى تظهرهم بمظهر قادة الدين الاسلامى والمساندين الاوفياء للخليفة .ولهذا نرى أن يعقوب الصفار قد اشتبك فى حروب ضد الكافرين فى الشرق ووسع سلطانه بغزو المناطق الجبلية الى الشرق ، ووهب الكثير لانتشار الاسلام بصورة تدريجية فى البلاد المعروفة اليوم بافغانستان (٢٣٦)

ومن جهة ثانية يمكن القول بأن حقيقة الاستقلال الايرانى من خلال الاضطرابات التى نشات فى خراسان قدنما بفعل يعقوب بن الليث الصفار الذى فرضه بحيث نجح فى ايجاد قوة ليس فى سجستان وحدها بل حتى خارج القسم الكبير من ايران آلى حدود بغداد (٢٣٧) ومن هنا يتبين ان يعقوب امتد طموحه الى الاستقلال التام عن الخلافة، وكان هذا الطموح هو علة الدولة التى اقامها وسبب قصر اجلها .(٢٣٨)

---

(٢٣٥) ن . م .

(٢٣٦) Siddigi : The Caliphate And Saffarids . P . 304

ويذكر ابن الاثير أن يعقوب كان قد (أفتتح الرخج وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده وكانت مملكته واسعة الحدود ،وكان سم ملكها كبتير . وكان يحمل على سرير من الذهب يحمله أثنا عشر رجلا وابتنى على جبل عال بيتا وسماه وكان يدعى الالهية فقتله يعقوب وأفتتح الخلجية وزابل) .انظر : الكامل فى التاريخ ٧/١١٦ .

(٢٣٧) Browne : Literary History of Parsia . Vol . I . P. 346

(٢٣٨) شريف – العالم الاسلامى ص ٤٦٣